المرحلة الخامسة

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

obeikandl.com

obeikandl.com

الوقفة السابعة عشرة

[فقال للملك : " لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به " ، قال : " ما هو ؟ " قال : " تجمع الناس في صعيد واحـــد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إن فعلت ذلك قتلتني] .

وفيها درســان :

الدرس الأول: نفاذ البصيرة وانعدامها :

وهنا جملة مسائل :

المسألة الأولى: اعلم رحمني الله وإياك أن الإنسان مخلوق من روح وبدن لكل منهما صفاته :

فالبدن هو ذلك الجسم الظاهر ذو الأبعاد طول وعرض وعمق، الموصوف بصفات تميزه عن غيره .

أما الروح فعرفها ابن حزم فقال : ذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرَّة بالمعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق ، ذات مكان جثة متحيزة مصرفة للجسد ، قال وبهذا نقول، قال والنفس والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد ومعناهما واحد [١] .

ذكر الرازي أن من قال الروح جسمٌ سارٍ في الجسم قد اختلفوا في تعيين ذلك

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ / ١٤٧ ، والروح لابن القيم ٢١٨ .

الجسم على عدة وجوه .. ثم ذكر ستة أوجه ختمها بقوله: أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

يقول ابن القيم : وهذا القول هو الصواب في المسألة هو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد [١] .

المسألة الثانية: العلاقة بين الروح والبدن :

قال ابن القيم أن من: أصول أهل السُّنَّة التي تظاهرت عليها أدلة القرآن والسُّنَّة والآثار والاعتبار والعقل، والقول: أنها (أي الروح) ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن... وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض والتوفي والرجوع وصعودها إلى السماء وفتح أبوابها لها وغلقها عنها فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام :٩٣] ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر :٢٧-٣٠] .

وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)

---

(١) الروح لابن القيم ص ٢١٩ ، ثم ذكر ابن القيم الأدلة على صحة هذا القول بما يزيد على المائة وجه، انظر الروح له ص ٢١٩ - ٢٣٩

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ [الشمس :٧ ، ٨] . فأخبر أنه سوى النفس كما أخبر أنه سوى البدن في قوله :﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار:٧]، فهو سبحانه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع لتسوية النفس والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له (١).

ويشهد لما قاله ابن القيم قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر:٢٩]، فتسوية البدن كان أولاً،ثم تبعه نفخ الروح فيه، ومعلوم أن المنفوخ يصير داخل المنفوخ فيه، فيصبح البدن كالقالب للروح .

ورغم أن لكل من الروح والبدن صفاته، إلا أن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

قال ابن القيم: ومن ها هنا يُعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن، كما يتأثر البدن وينتقل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها، وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه، فأشد الأشياء ارتباطاً وتناسباً وتفاعلاً وتأثراً من أحدهما بالآخر الروح والبدن، ولهذا يقال لها عند المفارقة: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، واخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث (٢).

المسألة الثالثة: هناك فروق بين البدن والروح نشأت عن اختلاف أصلهما

- فالبدن خُلق من الأرض ومن عناصرها، أما الروح خلقت من كنه لا يعلمه إلا الله ، ولذلك عُبِّر عنها بأنها جسم نوراني (٣) .
- البدن مطعمه من الأرض، أما الروح فغذاؤها من السماء (٤) .

---

(١) الروح ص ٥١ .

(٢) الروح ص ٥٠، ٥١ .

(٣) كيفية خلق الروح ومادة خلقها قد استأثر الله بعلمهما لنفسه، ولما سُئل عن ذلك النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

(٤) هناك فرق بين الطعام والغذاء فالطعام مادي أما الغذاء فمعنوي .

■ البدن يثقل بكثرة الطعام وراحته في الخلود إلى الأرض، أما الروح فتخف بكثرة الغذاء، وراحتها في السمو حتى تقترب من العرش علواً، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: (إياكم والبِطَنَة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات) (١).

ويقول ابن القيم: خلق بدن ابن آدم من الأرض،وروحه من ملكوت السماء، وقرن بينهما. فإذا أجاع بدنه، وأسهره، وأقامه في الخدمة، وجدت روحه خفة وراحة؛ فتاقت إلى الموضع الذي خلقت منه واشتاقت إلى عالمها العلوي ، وإذا أشبعه، ونعَّمَه، ونوَّمه، واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذي خلق منه؛ فانجذبت الروح معه فصارت في السجن، فلولا أنها ألفت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي خُلقت منه كما يستغيث المعذب.

وبالجملة فكلما خف البدن لطفت الروح وخفت وطلبت عالمها العلوي وكلما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة ثقلت الروح وهبطت من عالمها وصارت أرضية سفلية، فترى الرجل روحه في الرفيق الأعلى وبدنه عندك فيكون نائماً على فراشه وروحه عند سدرة المنتهى تجول حول العرش، وآخرٌ واقف في الخدمة ببدنه وروحه في السفل تجول حول السفليات، فإذا فارقت الروح البدن التحقت برفيقها الأعلى أو الأدنى، فعند الرفيق الأعلى كل قرة عين، وكل نعيم وسرور وبهجة ولذة وحياة طيبة، وعند الرفيق الأسفل كل هم وغم وضيق وحزن وحياة نكدة ومعيشة ضنك (٢).

■ البدن ينمو بكثرة الطعام الذي تتأذى منه الروح وتغلظ، والروح تنمو وتصفو بكثرة الغذاء الذي به يرق البدن ويطهر.

قال سفيان الثوري: (إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب) (٣)، وقال محمد ابن واسع: (من قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق وإن كثرة الطعام لتثقل صاحبه

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٨٢ .
(٢) الفوائد ص ٢٣٠ .
(٣) حلية الأولياء ٧ / ٧٨ .

عن كثير مما يريد) ، وعن عمرو بن قيس قال: (إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب)، وكان يقال: (لا تسكن الحكمة معدة ملأي)، وعن قثم العابد قال: كان يقال: (ما قل طعم امرئ قط إلا رق قلبه ونديت عيناه)، وقال أبو سليمان الداراني : (إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق وإذا شبعت ورويت عمى القلب) [١].

ويشهد لذلك كله ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال: **(المؤمن يأكل في معي واحد ،والكافر يأكل في سبعة أمعاء)**[٢]، فكلما ازداد الإيمان صفت الروح ورقت وأثر ذلك بالسلب على الطعام فقل والعكس صحيح.

■ من مطاعم البدن ما ينميه كالطعام الصالح ومنها ما يمرضه كالطعام الفاسد ،ومنها ما يقتله كالسموم،والروح لها غذاء منه ما يقويها وهو الوحي المنزل من السماء،ومنه ما يمرضها كالمعاصي والذنوب، ومنه ما يقتلها كالكفر والشرك.

■ موت البدن يكون باستحالته إلى عناصره الأولية، أما موت الروح يكون بمفارقتها للبدن.

■ البدن مركز السيطرة عليه في الدماغ،والروح مركز السيطرة عليها في القلب.

■ كما أن للبدن أجهزة حس يتعرف بها على الوسط المحيط، كذلك الروح لها أجهزة حس تدرك بها ما هو أوسع من الوسط المحيط.

■ من أعضاء الحس للبدن العين التي بها يتعرف على ظاهر الأشياء، وللروح عين أيضاً تدرك بها خواص الأشياء وهي البصيرة.

المسألة الرابعة: تعريف البصيرة :

البصيرة هي: بصر الروح وعين القلب يقول ربنا : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحجر :٤٦] .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٧٦، ٤٧٧ باختصار

(٢) رواه البخاري برقم ٥٠٧٨ ، والترمذي برقم ١٨١٨ ، وابن حبان برقم ٥٢٣٨ .

عن خالد بن معدان قال: (ما من آدمي إلا وله أربعة أعين: عينان في رأسه يُبصر بهما أمر الدنيا،وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة؛فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه،فأبصر بهما ما وُعد بالغيب فأمن الغيب بالغيب) (١).

قال القرطبي: قال مجاهد: لكل عين أربعة أعين: يعني لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئاً، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئاً (٢).

قال ابن كثير: أي ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر (٣).

البصيرة عرفها الراغب فقال: البصر يقال للجارحة الناظرة ... وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة : بصيرة (٤).

قال الليث: البَصيرة اسم لما اعتُقِد في القلب من الدين وتحقيق الأَمر، وعن ابن الأَعرابي قيل البَصيرة الفطنة تقول العرب أَعمى الله بصائره أَي فطَنَه (٥).

قال ابن القيم: البصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأى عين فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم وهذا معنى قول بعض العارفين: البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به وقال بعضهم البصيرة ما خلصك من الحيرة إما بإيمان وإما بعيان(٦).

وقال أيضاً: والبصيرة نور يجعله الله في عين القلب يفرق به العبد بين الحق

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٣٩ ، انظر تحفة العلماء ص ٢٧٦ .
(٢) تفسير القرطبي ١٢ / ٥٢ .
(٣) مختصر تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٣٠ .
(٤) المفردات ١ / ٦٢ .
(٥) لسان العرب ٤ / ٦٤ .
(٦) مدارج السالكين ١ / ١٥٢ .

والباطل ونسبته إلى القلب : كنسبة ضوء العين إلى العين وهذه البصيرة وهبية وكسبية فمن أدار النظر في أعلام الحق وأدلته وتجرد لله من هواه : استنارت بصيرته ورزق فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل [١].

قال الجرجاني: البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية [٢].

يقول ابن القيم: البصيرة كالبصر تكون عمى وعوراً وعمشاً ورمداً وتامة النور والضياء، وهذه الآفات قد تكون لها بالخلقة في الأصل، وقد تحدث فيها بالعوارض الكسبية [٣].

يقول الغزالي : وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر، والفرق مُدْرَك بين الأعمش وبين حاد البصر [٤].

المسألة الخامسة: أسباب قوة البصيرة :

عنها يقول ابن القيم: وكما أن المشاهدة بالبصر لا تصح إلا مع صحة القوة المدركة، وعدم الحائل من جسم أو ظلمة، وانتفاء البعد المفرط فكذلك المكاشفة بالبصيرة تستلزم صحة القلب،وعدم الحائل والشاغل،وقرب القلب ممن يكاشفه بأسراره[٥].

ويؤخذ من كلامه رحمه الله أن قوة البصيرة مترتبة على ثلاثة شروط:

الأول: صحة القلب :

والصحة ضد المرض، فلن يكون القلب صحيحاً إلا إذا خلا من أمراضه واستعاد عافيته، ومن أهم الأمراض المهلكة للقلب الشرك والنفاق والكبر

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣٧٩ .
(٢) التعاريف ص ٦٦ برقم ٢٩١ .
(٣) مدارج السالكين ٣ / ٢٩٥ .
(٤) الإحياء ١ / ٨٨ .
(٥) مدارج السالكين ٣ / ٢٥٣، ٢٥٤ .

والحسد، فعلى العبد لتقوى بصيرته أن ينظف قلبه من هذه الأوساخ، ويزيل عنه هذه الأدران، ويلزم تعهده على الدوام حتى لا يأتيه ما يهلكه وهو غافل عنه.

الثاني: عدم وجود الحائل والشاغل :

يقول ابن القيم: تجريده (أي القلب) عن المعارضة بتأويل أو تقليد أو هوى فلا يقوم بقلبه **شبهة** تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا **شهوة** تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به، ولا **تقليد** يريحه عن بذل الجهد في تلقى الأحكام من مشكاة النصوص [١].

فحوائل القلب عن قوة البصيرة ثلاث:

[١] الشبهات :

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصير القلب على قلبين: أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربد؛ كالكوز مجخياً، وأمال كفه، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً؛ إلا ما اشرب من هواه**)[٢].

قال ابن تيمية: والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات [٣].

قال ابن القيم: والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد[٤] . [٥] .

---

(١) مدارج السالكين ١ / ١٥٤ .

(٢) رواه أحمد برقم ٢٣٣٢٨ .

(٣) قاعدة في المحبة ص ٨٨ .

(٤) يقصد بالأولى الشهوات وما يتولد عنها من الغي والمعاصي والظلم، وبالثانية الشبهات وما يتولد عنها من الضلال والبدع والجهل.

(٥) إغاثة اللهفان ص ١٥ .

ويقول أيضاً: (فيتفق للعبد شبهة وشهوة وهما أصل كل فساد ومنشأ كل تأويل باطل وقد ذم الله سبحانه من اتبع الظن وما تهوى الأنفس فالظن الشبهات وما تهوى الأنفس الشهوات) (١).

والشبهات من أخطر ما يعرض للقلب ويحول بينه وبين الوصول إلى ربه، فإنه ما ضل من ضل من أهل الزيغ والضلال في غابر الزمان وحتى الآن إلا من قبل شبهات عُرضت على قلوبهم فأشربوها، فتركت قلوبهم منكوسة كالكوز مجخياً لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، وبسببها تفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

[٢] الشهوات:

ومن أكثر الشهوات تأثيراً في القلب ما يدخل عن طريق الحواس؛ وبخاصة الأذن والعين، ولذلك كان فقد البصر في كثير من الأحيان من أسباب قوة البصيرة.

قال القرطبي: (البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله) (٢).

قال ابن القيم: وأما فقد البصر فربما كان معيناً على قوة إدراك البصيرة، وشدة ذكائها، فإن نور البصر ينعكس إلى البصيرة باطناً فيقوى إدراكها ويعظم، ولهذا تجد كثيراً من العميان، أو أكثرهم، عندهم من الذكاء الوقاد، والفطنة، وضياء الحس الباطن ما لا تكاد تجده عند البصير، ولا ريب أن سفر البصر في الجهات والأقطار، ومباشرته للمبصرات على اختلافها يوجب تفرق القلب وتشتيته، ولهذا كان الليل أجمع للقلب والخلوة أعوَن على إصابة الفكرة (٣).

---

(١) الصواعق المرسلة ٢ / ٥١٠ .
(٢) القرطبي ١٢ / ١٤٨ .
(٣) بدائع الفوائد ١ / ٨٠ .

وغض البصر أقوى أثراً في تقوية البصيرة من العمى لأن من غض بصره إنما ترك إطلاق البصر لله وقد ورد عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا: أتينا على رجل من أهل البادية ، فقال البدوي : (أخذ رسول الله بيدي فجعل يعلمني مما عمله الله فكان مما حفظت أن قال لا تدع شيئاً اتقاء لله إلا أبدلك الله خيراً منه) (١).

وللخلاص من الشهوة : يجب أن تعرف ما يترتب عليها من آثام وفي ذلك يقول ابن القيم: الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهًا قيامه خير من وضعه، وإما أن تُسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تُطرِّق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسى علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة وإما أن تشمِّت عدواً وتحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة وإما أن تحدث عيباً يُبقى صفة لا تزول فإن الأعمال تورِّث الصفات والأخلاق (٢) .

وللخلاص من هذين الداءين الحالقين لأصل الدين معاً يجب تصديق ما جاء من عند الله وامتثال أمره.

قال ابن القيم: متابعة هدى الله ... هي تصديق خبره من غير اعتراض شبهة تقدح في تصديقه، وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة تمنع امتثاله، وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان، وهما تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ويتبعهما أمران آخران وهما: نفي شبهات الباطل الواردة عليه؛ المانعة من كمال التصديق؛ وأن لا

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى برقم ١٠٦٠٣ ، وفي شعب الإيمان برقم ٥٧٤٨ ، وفي مسند الشهاب برقم ١١٣٥ .

(٢) الفوائد ص ١٩١، ١٩٢ .

يخمش بها وجه تصديقه، ودفع شهوات الغي الواردة عليه؛ المانعة من كمال الامتثال، فهنا أربعة أمور: **أحدها**: تصديق الخبر ، **الثاني**: بذل الاجتهاد في رد الشبهات التي توحيها شياطين الجن والإنس في معارضته، **الثالث**: طاعة الأمر ، **والرابع**:مجاهدة النفس في دفع الشهوات التي تحول بين العبد وبين كمال الطاعة، وهذان الأمران أعني الشبهات والشهوات أصل فساد العبد وشقائه في معاشه ومعاده، كما أن الأصلين الأولين وهما تصديق الخبر وطاعة الأمر أصل سعادته وفلاحه في معاشه ومعاده، وذلك أن العبد له قوتان قوة الإدراك والنظر؛ وما يتبعها من العلم والمعرفة والكلام، وقوة الإرادة والحب؛ وما يتبعه من النية والعزم والعمل، فالشبهة تؤثر فساداً في القوة العلمية النظرية ما لم يداوها بدفعها، والشهوة تؤثر فساداً في القوة الإرادية العملية ما لم يداوها بإخراجها(١).

[٣] التقليـــــد :

في ذم التقليد ومدح التمسك بالسُّنَّة ساق ابن القيم هذين الإجماعين:

قال الشافعي قدس الله تعالى روحه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد.

ثم قال رحمه الله تعالى: فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى، والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء، وسقوطهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الأنبياء، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وكيف يكون من

(١) مفتاح دار السعادة ١ / ٤٠ .

ورثة الرسول ﷺ من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه، ويُضيِّع ساعات عمره في التعصب والهوى ولا يشعر بتضييعه ؟، تالله إنها فتنة عمَّت فأعمْت، ورمت القلوب فأصمَّت، رَبَا عليها الصغير، وهرم فيها الكبير، واتُخذ لأجلها القرآن مهجوراً، وكان ذلك بقضاء الله وقدره في الكتاب مسطوراً، ولما عمَّت بها البلية، وعظُمت بسببها الرزية، بحيث لا يعرف أكثر الناس سواها، ولا يعدون العلم إلا إياها، فطالب الحق من مظانه لديهم مفتون، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون، نصبوا لمن خالفهم في طريقتهم الحبائل، وبغوا له الغوائل، ورموه عن قوس الجهل والبغى والعناد، وقالوا لإخوانهم إنا نخاف ﴿ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦] .

فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة ألا يلتفت إلى هؤلاء، ولا يرضى لها بما لديهم، وإذا رُفع له علم السُّنَّة النبوية شمَّر إليه، ولم يحبس نفسه عليهم، فما هي إلا ساعة حتى يُبعثر ما في القبور، ويُحصل ما في الصدور، وتتساوى أقدام الخلائق في القيام لله ، وينظر كل عبد ما قدمت يداه، ويقع التمييز بين المحقين والمبطلين، ويعلم المعرضون عن كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم أنهم كانوا كاذبين [١] .

واعلم رحمني الله وإياك أن المقلد إما غبي أو عصبي،فمن استبانت له سُنَّة لا يجوز له تركها لقول أحد من البشر كائناً من كان، ومن كان قادراً على الوصول للعلم من مظانه الصحيحة لا يجوز أن يقلد أحداً فيما يستطيع الوصول إلى دليله، وللخلاص من هذا الداء العضال عليك بسُنَّة النَّبيّ ﷺ فإنها خير الهدى.

الثالث: قرب القلب من الله :

ولن يكون قريباً من ربه حتى يعلم عنه ما يليق به من صفات جلاله ونعوت كماله، وما تفضل به من إنعامه على عباده، ويعمل بمقتضى ذلك فيؤدي ما يجب عليه لله .

---

[١] إعلام الموقعين ١ / ٦، ٧ .

يقول ابن القيم: لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله بل تكون الشبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر.

وعقد هذا أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستوياً على عرشه، متكلماً بأمره ونهيه، بصيراً بحركات العالم، علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعاً لأصواتهم، رقيباً على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال، منزهاً عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفي عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقاً وعدلاً وجلّت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهاً ومثلاً، وتعالت ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحكمةً ورحمةً وإحساناً وفضلاً، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد [١].

وبالجملة فكل طاعة تسهم في قوة البصيرة ونفاذها وكل معصية سبب من أسباب انطماسها، وبين هذه وتلك درجات لا يعلم مدى التفاوت فيها إلا رب البريات، ولما كانت الطاعات كلها من الإيمان فالعلاقة بين الإيمان والبصيرة مطردة، لأن البصيرة ثمرته؛ فإن زاد زادت، وإن نقص نقصت،وإن ذهب ذهبت.

يقول ابن القيم: فمن لا بصيرة له فهو من أهل الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة [٢].

---

(١) مدارج السالكين ١ / ١٥٢، ١٥٣.

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٣٧٩.

ويقول أيضاً فيمن قدم شهواته وهي دنية على ما عند الله وهو في غاية الكمال والحسن واللذة : (لو ساعد القدر فأعنت الطبيب (أي ربك) على نفسك بالحمية من شهوة خسيسة ظفرت بأنواع اللذات وأصناف المشتهيات، ولكن بخار الشهوة غطى عين البصيرة فظننت أن الحزم بيع الوعد بالنقد، يا لها من بصيرة عمياء جزعت من صبر ساعة واحتملت ذل الأبد، سافرت في طلب الدنيا وهي عنها زائلة وقعدت عن السفر إلى الآخرة وهي إليها راحلة) [١] .

فالفرق بين الغلام والملك؛ أن الغلام أكرمه ربه بنفاذ في بصيرته؛ فشاهد ما أُعد للمتقين في دار النعيم وهو ما زال في هذه الدنيا الفانية، فآثر ما أيقن من بقائه على ما تيقن من فنائه، أما الملك فقد ابتلاه ربه بعمى البصيرة فما استطاع أن يدرك ما يتمخض عنه قتل الغلام فأقدم على قتله، وليته ما فعل، ففرق بين نفاذ البصيرة وانعدامها.

الدرس الثاني: إيثار الآجل على العاجل :

الأحمق من آثر عاجلاً رخيصاً على آجل نفيس، والكيس الفطن من آثر النفيس سواء كان عاجلاً أم آجلاً.

يقول ابن القيم: (إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس ويبيع العظيم بالحقير فاعلم بأنه سفيه) [٢] .

وفي قصتنا مثال لأحمق آثر العاجل الرخيص على الآجل النفيس ، ألا وهو الملك فقد آثر أن يقتل الغلام وكل من تبعه رغبة في لذة عاجلة لن تدوم إلا قليلاً، فكان كل همه أن يقتل الغلام ليستريح، وبمجرد قتله للغلام زرع بيده من خلفه ألف غلام، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاق صدره حتى كأنما

---

(١) الفوائد ص ٩١ .

(٢) الفوائد ص ٩١ .

يتنفس من ثقب إبرة، فعاش بقية حياته تعيساً لا يهنأ بعيش، وينتظره في الآخرة موعود ربه ناراً تلظى جزاء ما عذب وقتل أولياءه، فلم يتحصل بعاجل به تقر عينه في حياته، واستقبل حياة أخرى هي أشد بؤساً مما كان عليه، ثم ينتظر آجلاً لا يعلم مدى شقائه إلا الله .

ومثال لمن آثر الآجل النفيس على العاجل الرخيص ألا وهو الغلام، فقد علم أن الملك لا يستطيع قتله وقال ذلك للملك: لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، ورغم ذلك يشترط لذلك شروطاً مؤداها أن يصل الحق إلى كل إنسان في مملكته بل في الدنيا بأسرها، فأصر أن يكون موته أمام كل الناس، ـ وأسوته في ذلك موسى عليه السلام حينما تحداه فرعون قائلاً له: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) ﴾ [طه : ٥٨] . فرد عليه موسى عليه السلام قائلاً : ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) ﴾ [طه : ٥٩] ، وبعد أن يأخذ الملك سهماً من كنانة الغلام قائلاً بأعلى صوته بسم الله رب الغلام، ولو تخلف شرط منها ما قدر على موته، وذلك ليُعلِم من خلفه وكذا الملك أن حياته بيد مالكه وأنه لن يُقتل إلا بإذنه، وما فعل ذلك إلا لعلمه أن دماءه التي ستسيل منه ستروي قلوباً أشرفت على الموت فتربو تنبت كما تنبت الحبة في حميل السيل وقد اغتذت بالإيمان، وكان ما أراد فقال الناس آمنا برب الغلام، وأيضاً أراد لنفسه أن تموت مزكاة كما يزكي أحدنا ذبيحته فيذكر ربه عند ذبحها، وأيضاً لما أيقن بموعود الله في حياة أتم وأكمل وأنعم في جنة الخلد عند ربه فتعجل اللقاء، ومثله في ذلك كمثل عمير بن الحمام الأنصاري فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما دنا المشركون يوم بدر ، قال رسول الله ﷺ : (**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**) قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : (**نعم**) ، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ : (**ما يحملك على قولك بخ بخ ؟**) قال : لا والله

يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: (**فإنك من أهلها**) فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قُتل [١].

وإنما اختلفت النظرة بين الاثنين تبعاً لنفاذ بصيرة الغلام وانعدامها عند الملك، ولمعرفة كل منهما لحقيقة الدنيا، فالملك ينظر إليها على أنها كل شيء، والغلام يعلم أنها دنيا دنية، فاتخذها مطية للوصول إلى ما يرجو ويتمنى من موعود الله ؛ بنصر في الدنيا، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين في الآخرة.

فالملك هُزم في الدنيا وفي الآخرة لأنه ما وصل إلى غايته المنشودة، أما الغلام فانتصر في الدنيا والآخرة لأنه وصل إلى غايته المنشودة في الدنيا بتعبيد الناس لرب الناس، وفي الآخرة وصل إلى غايته المنشودة ألا وهي جنة المأوى، رغم أن الناظر بعين القصور يظن أن الملك هو المنتصر ... راجع درس النصر في المرحلة السابقة.

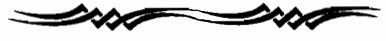

(١) رواه مسلم برقم ١٤٥ / ١٩٠١ ، وأحمد برقم ١٢٤٢١ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٧٦٩٤ ، والحاكم في مستدركه برقم ٥٧٩٨ .

obeikandl.com

الوقفة الثامنة عشرة

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : " بسم الله رب الغلام " ، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فمات ، فقال الناس : " آمنا برب الغلام "

وفيها درسان :

الدرس الأول: حُسن التوكل ينفع صاحبه حتى وإن كان كافراً :

التوكل في اللغة : إظهار العجز والاعتماد على غيرك [١] .

وقال الجرجاني : إقامة الغير مقام نفسه بالتصرف فيما يملكه [٢] .

وقال الراغب : أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك [٣] .

وفي الشرع:

قال ابن رجب: حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها [٤] .

قال ابن القيم: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد [٥] .

---

(١) مختار الصحاح ٧٤٠ .
(٢) التعريفات ٩٧ .
(٣) المفردات ٢ / ٦٨٩ .
(٤) جامع العلوم والحكم ٤٨٨ .
(٥) مدارج السالكين ٢ / ١٣١، ١٣٢ .

قال ابن رجب: واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله المقدورات بها وجرت سُنَّته في خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له والتوكل بالقلب عليه إيمان به قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] . وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال سهل التستري من طعن في الحركة (يعني في السعي والكسب):

فقد طعن في السُنَّة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، فالتوكل حال النَّبيّ ﷺ والكسب سُنَّته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سُنَّته [١] .

ويشهد لذلك ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟،قال: **(اعقلها وتوكل)** [٢] ،فلم يغفل النَّبيّ ﷺ الأخذ الأسباب بدعوى التوكل، وإنما الأخذ بالأسباب من جملة التوكل.

ويقول ابن القيم في بيان حقيقة التوكل: التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً [٣] .

وهذا من أبين تعريفات التوكل وأكثرها مطابقة لمقاصد الشرع، **لذا قلت: التوكل هو اعتماد القلب على الله باطناً، والأخذ بالأسباب الشرعية ظاهراً، للوصول إلى غاية مشروعة.**

وهذا التعريف استقيته من الحديث الذي رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب

---

(١) جامع العلوم والحكم ٤٨٨ .

(٢) رواه الترمذي برقم ٢٥١٧ وقال هذا حديث غريب، وابن حبان برقم ٧٣١ وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر برقم ٢٢ .

(٣) زاد المعاد ٣ / ٨ .

أن رسول الله ﷺ قال: (**لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**) [١] .

فالطيور تعتمد على ربها في الحصول على رزقها وهذه غاية مشروعه وأخذت بالأسباب المشروعة من السعي في طلبه، ولم تخلد في أعشاشها انتظاراً لوصول الرزق.

فمن اعتمد على الأسباب فهو مشرك، ومن أهمل الأخذ بها فهو متواكل، ومن أخذ بأسباب غير مشروعة فهو مبتدع، ومن اعتمد على الله وأخذ بالأسباب وكانت الغاية غير مشروعة فهو زنديق، ومن اعتمد على الله وأخذ بالأسباب وصلحت غايته فهو متوكل على الله .

والمُتَوَكِّل على الله الذي يعلم أَن الله كافِلٌ رزقه وأَمْرَه فيرْكَن إِليه وحْدَه ولا يتوَكَّل على غيره قاله ابن سيده [٢] .

وبهذا الاعتبار ينقسم الناس في حقيقة التوكل إلى أقسام هي :

الأول: من اعتمد على الله في الوصول إلى غاية مشروعة وأخذ بالأسباب المشروعة، وهذا له من الله الأجر، ووصل بإذن الله إلى ما يريد وهو من أهل الإيمان الذين يحبهم الله ورسوله ﷺ .

الثاني: من اعتمد على الله في الوصول إلى غاية مشروعة وأخذ بأسباب غير مشروعة، وهذا مبتدع لأن الغاية المشروعة حدد الشرع أسباباً مشروعة للوصول إليها، فمن استحسن غيرها فقد ابتدع، وبذا يُعلم أن الغاية المشروعة لا تبرر الوسيلة غير المشروعة، وعلى قدر بدعتة يكون ذنبه، فقد يصل به في بعض الأحيان أن تكون بدعته مكفرة له، مخرجة له من الملة، وقد تكون دون ذلك.

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢٣٤٤ وقال حسن صحيح، وأحمد برقم ٢٠٥ ، وابن حبان برقم ٧٣٠ وقال الأرنؤوط : إسناده جيد، والحاكم في المستدرك برقم ٧٨٩٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٢٥٤ ، وفي السلسلة الصحيحة برقم ٣١٠ .

(٢) لسان العرب ١١ / ٧٣٤ .

الثالث: من اعتمد على الله في الوصول إلى غاية مشروعة، وترك الأسباب جملة؛ ظناً منه أن ذلك عين التوكل على الله ، فإنما هو متواكل ولن يصل إلى ما يريد، لأن الله ـ عز وجل ـ ربط بين الغايات والوسائل، فمن أراد أن ينجب عليه أن يتزوج، ومن أراد أن يعلم فليتعلم، أما أن تحصل له غاية بغير تحصيل أسبابها فهذا محال شرعاً وعقلاً.

يقول ابن القيم: فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به (١) .

الرابع: من اعتمد على الله في الوصول إلى غاية غير مشروعة، وأخذ بأسباب غير مشروعه، فهذا ممن حاد الله ورسوله، وعلى قدر همته قد يصل إلى غايته وفي مثل هذا يقول ابن القيم: ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالباً إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه،بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم (٢) .

الخامس: من اعتمد على الله في الوصول إلى غاية غير مشروعة وأخذ بأسباب مشروعة، وهذا من المدلسين، الذين يفتنون الناس ويضلونهم فيظهرون في ثوب الصلاح وتنطوي نفوسهم على شر محض لا يعلمه إلا من خالطهم وعرف فساد غاياتهم، ومعظمهم ممن يهدم الدين باسم الدين، وهو من الأخسرين أعمالاً ويحسبه من يراه أنه يحسن صنعاً، وهذا هو النفاق المحض.

السادس: من لم يعتمد على الله في الوصول إلى غاية مشروعة وأخذ

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٣٤ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ١٢٩ .

بالأسباب فهذا مشرك وشركه يدور مع اعتقاده في السبب ونوعه فإن كان السبب مشروعاً أو غير مشروع واعتقد أنه ينفع بذاته فقط أو ينفع مع الله ، فهذا هو الشرك الأكبر، وإن اعتقد بسببية سبب لم يثبت بالشرع أو العقل أنه سببٌ في الوصول إلى غايته فهذا من الشرك الأصغر .

وأياً كان سعيه ومعتقده فمن حسن توكله وصل إلى ما يريد، وفي ذلك يقول ابن القيم: ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله، فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه إن لم يستعن به على طاعاته. والله أعلم [١].

وفي القصة التي بين أيدينا أوضح مثال على أن صدق التوكل ينفع صاحبه وإن كان كافراً في الوصول إلى مقصوده، فها هو الملك يعتمد على الأسباب في الخلاص من الغلام فلم تغنِ عنه شيئاً وما استطاع أن يصل إلى غايته، وعندما اعتمد على الله وأخذ بالأسباب التي دله عليها الغلام وصل إلى غايته ومات الغلام.

فأحرى بنا أهل الحق أن نحسن التوكل على الله بأن نلجأ إليه بقلوبنا، ونطرح الأسباب من قلوبنا اعتقاداً، ونجعلها في أيدينا سعياً، موقنين بأنها لن تنفع ولن تضر إلا بإذن من سببها أسباباً وأودع فيها خصائصها.

الدرس الثاني: فرق بين حياة وحياة :

سعى الملك ليعيش حياة وسعى الغلام ليعيش حياة وفرق بين حياة وحياة، فالملك كان كل همه أن يعيش في هذه الدنيا الدنية حياة الترف والبزخ والنعيم، فعمل كل ما في وسعه للوصول إلى غايته فقتل وحرق، وما انثنى عن غيه لما يظن من لذة المقام، أما الغلام لما عاين نعيم الآخرة ـ وهذا شأن كل تقي يعيش في جنة

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٣٠ .

الدنيا قبل جنة الآخرة ـ كان سعيه أن يستمر عيشه في هذا النعيم ولما علم أن ما في الآخرة أتم وأكمل، وأنه لن يصل إليه إلا بالموت أقبل عليه متهلل الأسارير مبتهج الفؤاد.

ساق أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن بشار الرطابي قال: بينا أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي وأبو عبد الله السخاوي ونحن متوجهون نريد الإسكندرية فصرنا إلى نهر يقال له نهر الأردن فقعدنا نستريح فقرَّب أبو يوسف الغسولي كُسيرات يابسات فأكلنا وحمدنا الله تعالى وقام أحدنا ليسقي إبراهيم فسارعه فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه ثم قال: بسم الله فشرب ثم قال: الحمد لله، ثم يبدأ ثانية، فقال بسم الله ثم شرب، ثم قال الحمد لله، ثم خرج فمد رجليه، ثم قال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم أيام الحياة على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب، زاد جعفر فقلت له يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطؤا الطريق المستقيم فتبسم ثم قال من أين لك هذا الكلام [١].

إن نعيم الدنيا مدخول ولذاتها منقوصة وهو إلى زوال إما بالسلب أو بالفراق ومثال ذلك من شرب الخمر فقد نال لذة غير كاملة فقد أحس بالفرح والسرور حيناً ولكنه عانى من نتن ريحها وحر طعمها وذهاب عقله حيناً وما يعقبها من صداع وأمراض، وهو إن آجلاً أو عاجلاً مفارقها إما لفلس أو ضيق ذات يد أو لمرضه أو لموته، أما نعيم الجنة ولذاتها لا مدخولة ولا منقوصة، فمن شرب الخمر في الآخرة ناله من اللذة والفرح والسرور ما لا يخطر ببال ولا يصيبه من أذاها شيءٌ، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)** ﴾ [الصافات :٤٥-٤٧].

قال ابن كثير: نزه الله ـ عز وجل ـ خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا

---

(١) حلية الأولياء ٧ / ٣٧١.

من صداع الرأس، ووجع البطن وهو الغول ، وذهابها بالعقل جملة ، فقال تعالى ههنا ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) ﴾ أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها. قال زيد بن أسلم : خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردىء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم وقوله ـ عز وجل ـ : ﴿ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى : ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ يعنى : لا تؤثر فيها غولاً وهو وجع البطن، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم ، وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن وقوله تعالى: ﴿ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ قال مجاهد : لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس والحسن وعطاء الخراساني وغيرهم، وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقىء والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال [١] .

قال السعدي : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) ﴾ أي : يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم عليهم بالأشربة اللذيذة بالكاسات الجميلة المنظر المترعة من الرحيق المختوم بالمسك وهي كاسات الخمر، وتلك الخمر تخالف خمر الدنيا من كل وجه فإنها في لونها ﴿ بَيْضَاءَ ﴾ من أحسن الألوان، وفي طعمها ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) ﴾ يلتذ شاربها بها وقت شربها وبعده، وأنها سالمة ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها وليس فيها صداع ولا كدر [٢] .

وقس على ذلك كل نعيم الدنيا وملذاتها فيها من الكدر ما لا يعلمه إلا الله

---

(١) عمدة التفسير ٣ / ١٢٧– ١٢٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٧٣ .

ونعيم الآخرة وما فيه من اللذة الخالصة السالمة من كل عيب، ففرق بين حياة نعيمها ليس بنعيم فما بالك بغصصها وإن كان فيها بعض النعيم فهو إلى زوال لا محالة، ونعيم مقيم بجوار رب العالمين.

ويبقى أن نقول إلا أن المتقين يتنعمون في الدنيا والآخرة في الدنيا بقربهم من ربهم حال عباداتهم فيجدون لذة لا تدانيها لذة وفي الآخرة فالنعيم أتم بمجاورة رب الأرباب وكفي بها نعمة، أما غيرهم ممن يعمرون دنياهم بخراب آخرتهم فهم في شقاء لا يعلم مداه إلا الله من جراء بعدهم عن ربهم، وما تنعموا بما يظنون أنه نعيم فهم في تنعمهم أشقياء وفي بعدهم عن ربهم أشد شقاء.

قال عبد الله بن وهب: كل ملذوذ إنما له لذة واحدة، إلا العبادة، فإن لها ثلاث لذات: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أُعطيت ثوابها (١).

قال أبو سليمان الداراني: لأهل الطاعة في ليلهم ألذّ من أهل اللهو بلهوهم وكان يقول: لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا (٢).

قال بعض الصالحين: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة (٣).

قيل للحسن البصري: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره (٤).

قال سعيد بن المسيب: إن الرجل ليصلي بالليل؛ فيجعل الله في وجهه نوراً يحببه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط، فيقول: إني لأحب هذا الرجل (٥).

قال أبو سليمان الداراني: لو لم يبك الغافل باقي عمره إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره؛ لكان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا (٦).

---

(١) رهبان الليل ٣ / ٢٦٨ .
(٢) رهبان الليل ٢ / ٤٣ .
(٣) رهبان الليل ٢ / ٥٣ .
(٤) رهبان اليل ٢ / ٤٦ .
(٥) رهبان الليل ٣ / ٢٦٣ .
(٦) رهبان الليل ٣ / ٢٥٣ .

قال ابن الجوزي: (من تأمل بعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر و لذات بلا انقطاع و بلوغ كل مطلوب للنفس و الزيادة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من غير تغيير ولا زوال إذ لا يقال ألف ألف سنة و لا مائة ألف ألف بل و لو أن الإنسان عد ألوف ألوف السنين لا ينقضي عدده وكان له نهاية وبقاء الآخرة لا نفاد له إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمس عشرة صبوة وجهل وثلاثون بعد السبعين ـ إن حصلت ـ ضعف وعجز والتوسط نصفه نوم وبعضه زمان أكل وشرب وكسب والمنتحل منه للعبادات يسير.

أفلا يشتري ذلك الدائم بهذا القليل ؟ إن الإعراض عن الشروع في هذا البيع و الشراء لغبن فاحش في العقل و خلل داخل في الإيمان بالوعد) [١] .

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٥٩- ٣٦٠ .

obeikandl.com

الوقفة التاسعة عشرة

[فأتى الملك فقيل له : " أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس "] .

وفيها ثلاث دروس :

الدرس الأول: المـــرء على دين خليله :

لما كان القلب هو مستقر أصل الروح في البدن، وكانت الروح هى وعاء الإيمان ومستقره، ولما اختلف الناس في نصيبهم من الإيمان فمُقِل ومستكثر، اختلفت الأرواح بقدر اختلاف درجات الإيمان، وتبعاً لاختلاف الأرواح اختلف الناس وتباينوا، ولكن كثيراً من الناس تتفق درجات إيمانهم فيتفقون، ولما كانت الروح أقدر على التمييز والإدراك من الحواس الظاهرة فإنها تتعارف مع من يشبهها وتتنافر مع من يخالفها، وعلى حسب الاتفاق الاختلاف بين الأرواح يكون الاتفاق والاختلاف في الظاهر، وترى ذلك جلياً وتستشعره عندما تلقى رجلاً لا تعرفه فتشعر تجاهه بألفة واستئناس كأنك تعرفه منذ أمد بعيد، وآخر تشعر تجاهه بنفور واشمئزاز وضيق رغم أنه لم يتكلم معك منهما أحد، فاعلم أن من استراحت له نفسك يقاربك في محتوى قلبك من الإيمان، ومن نفرت منه نفسك فهو يغايرك فيما استقر في قلبك من الإيمان إما بالزيادة أو النقص، ويُظهِر ذلك ،ويؤكده ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: **(الأرواح جُنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر اختلف)** [1] .

---

(١) رواه البخاري برقم ٣١٥٨ .

قال ابن حجر: قوله (الأرواح جنود مجندة ...إلخ) قال الخطابى : يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخَيِّر من الناس يحن إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جُبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت) [١] .

وقال النووي: قال العلماء معناه جُموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه، وقيل أنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها [٢] .

وقال صاحب عمدة القاري:

لما نزل على بن أبى طالب رضي الله عنه الكوفة قال : يا أهل الكوفة قد علمنا خيِّركم من شِريركم، فقالوا : لم ذلك ؟ قال : كان معنا ناس من الأخيار فنزلوا عند ناس فعلمنا أنهم من الأخيار، وكان معنا ناس من الأشرار فنزلوا عند ناس فعلمنا أنهم من الأشرار، وكان كما قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي [٣]

وقال المناوي: والتعارف هو التشاكل المعنوي الموجب لاتحاد الذوق الذي يدرك ذوق صاحبه فذلك علة الائتلاف كما أن التناكر ضده ولذلك قيل فيه :

ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونوا من قبيل ولا بلد

وقيل : انظر من تصاحب فقلَّ من نواة طُرِحت مع حصاة إلا أشبهتها، ولهذا قال الإمام الغزالي تبعاً لبعض الحكماء : لا يتفق اثنان في عِشْرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر حتى الطير، ورأى بعضهم مرة غراباً مع حمامة فاستبعد المناسبة

---

(١) فتح الباري ٦ / ٤٠٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٥٢ .

(٣) انظر عمدة القاري ١٥ / ٢١٥ .

بينهما؛ ثم تأمل فوجدهما أعرجين، فإذا أردت أن تعرف من غابت عنك خلاله بموت، أو غيبة، أو عدم عشرة؛ امتحن أخلاق صاحبه وجليسه بذلك، وذلك يدل على كماله أو نقصه؛ كما يدل الدخان على النار ولهذا قيل فيه:

إذا أردت ترى فضيلة صاحب ... فانظر بعين البحث مَن ندمائه
فالمرء مطوى على عِلاته ... طى الكتاب وتحته عنوانه

وإذا صاحب الرجل غير شكله لم تدم صحبته [١].

فما اجتمعت جماعة من الناس وكانت بينهم مودة إلا لاتفاقهم في الصفات والطباع والميول والرغبات، وإنما نشأ ذلك عن قرب محتوى أرواحهم من الإيمان الذي هو الدين ولذلك ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال: **(الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالل)** [٢].

قال المباركفوري: (الرجل) يعني الإنسان (على دين خليله) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فلينظر) أي فليتأمل وليتدبر (من يخالل) من المخالة وهي المصادقة والإخاء فمن رضى دينه وخلقه خالِلهُ، ومن لا تجنبه فإن الطباع سرَّاقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده.

قال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخاللته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من حيث لا يدري صاحبه [٣].

وفي قصتنا فئتان لكل منهما وجهة وهدف الأولى يمثلها الغلام ومن آمن معه، والثانية يمثلها الملك ومن على شاكلته، وتجد هؤلاء أرواحهم نسيج واحد،

---

(١) فيض القدير ١ / ٥٥٢ .

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٨٣٣ ، والترمذي برقم ٢٣٧٨ وقال حسن غريب، وأحمد برقم ٨٠١٥ ، وقال الأرنؤوط: جيد، والحاكم في المستدرك برقم ٧٣٢٠ وقال صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح إن شاء الله ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٥٤٥ ، وفي السلسلة الصحيحة برقم ٩٢٧ .

(٣) تحفة الأحوزي ٧ / ٤٢ .

وأولئك نسيج واحد ، فئة تواطأت قلوبهم على الفداء والتضحية لإعلاء كلمة الله ، والأخرى اجتمعت قلوبهم على الضلال، فمنهم من باشر قتل الراهب وجليس الملك أبشع قتله، ومنهم من ارتقى بالغلام الجبل ليتخلص منه وما عادوا، والأعجب منهم من خاض غمار البحر ليُغرق الغلام ولم يعتبر بما حدث لمن سبقه، وأسفه منهم ذلك الملك الذي أراد أن يتخلص من الغلام برغم كل ما عاينه وعايشه من هلاك حاشيته، وأعجب من كل أولئك الذين قالوا للملك: (أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس) ليوغروا صدره على من بقي من المؤمنين، وامتثلوا أمره في التنكيل بحزب الله وأوليائه في الأرض برغم ما ظهر لهم من براهين قاطعة ودلائل ساطعة على صدق الغلام ومن تبعه، لكنها شبهات وشهوات عمَّت فأعمَت البصائر والأبصار.

فالأمر إذا اتصل بالآخرة ينقسم الناس إلى فريقين لا ثالث لهما: أهل الدنيا، وأهل الآخرة، ولابد أن تنشب بينهم المعارك والصراعات، ولابد أن تكون واحداً من تلكم الفئتين، أما أن ترضى أن تكون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهذا أمر مستحيل، فإن كنت كما تحب أن تقنع نفسك أنك على الحياد فانظر إلى قلبك وتفحصه جيداً ستجده ولابد يميل لإحدى الفئتين، وإلى أيهما كان ميله كنت منهم فقد ورد عن أبي موسى وابن عمر وأنس رضي الله عنهم : قيل للنبي ﷺ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ ، قال: **(المرء مع من أحب)** [1] .

ويوضحه ما ورد عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن رسول الله قال: « **مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل به في ماله فينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو يقول لو كان لي مثل ما لهذا عملت فيه مثل الذي يعمل**» ، قال: قال رسول الله ﷺ : « **فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه،**

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٨١٨، ومسلم برقم ١٦٥ ٢٦٤٠/ ، وأبو داود برقم ٥١٢٧ ،والترمذي برقم ٢٣٨٥ ، وأحمد برقم ٣٧١٨ ، وابن حبان برقم ٥٥٧ .

ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو كان لي مال مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل» قال: قال رسول الله : **« فهما في الوزر سواء »** (١) .

فوطن نفسك واعرف إلى أي الفريقين تنتمي فإن كنت من أهل الآخرة فاحمد الله واسأله الثبات، وإن كنت من أهل الدنيا فعجل بالرجوع إلى ربك فاليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل، وأسأل الله لي ولك الثبات على ما يحب ويرضى.

الدرس الثاني: القدوة العملية :

التبليغ عن الله والدعوة إليه تقوم على ساقين: القول والعمل، فإن فُقد أحدهما كانت دعوة عرجاء، لا تقوى على مسايرة الدعوات الباطلة فضلاً عن سبقها، فالدعوة بالقول بغير عمل كان عرجها ظاهراً أقرب للكساح، وإن كانت عملاً بغير قول فهي إلى السلامة أقرب، فإن تمت عملاً يواطئ القول وصلت إلى الكمال وأثمرت تأثيراً في الغير حتماً وإن طال الأمد.

ومن أجل ذلك كان النَّبيّ لا يأمر بأمر حتى يأتيه وواقعه يشهد لذلك ومن أوضح الأمثلة الدالة على مشاركته العمل مع أصحابه رغم أنه كان يكفيه القول مثالان:

[١] مشاركته ﷺ في بناء المسجد النبوي فكان يحمل اللبن مع صحابته الكرام وكان يبني وينشد لهم مبشراً من باب شحذ العزائم ، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه (أن النَّبيّ ﷺ بعدما ابتاع مكان المسجد من الغلامين) :ثم بناه (أي النَّبي ﷺ) مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن (**هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر . ويقول :اللهم إن الأجر**

---

(١) رواه أحمد برقم ١٨٠٥٣ وحسنه الأرنؤوط، وابن ماجة برقم ٤٢٢٨ ، والطبراني في الكبير برقم ٨٧٠ ، والبيهقي في الكبرى برقم ٧٦١٧ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم ٣٤٠٦ .

أجر الآخرة ، فارحم الأنصار والمهاجرة) [١].

[٢] مشاركته ﷺ في حفر الخندق ينقل التراب ويحفر بالمعول يرتجز أيضاً ليُحفِّز الجميع على العمل فقد ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: كان النَّبيّ ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب ، ولقد رأيته وارى التراب بياض بطنه يقول ﷺ : **(لولا أنت ما اهتدينا نحن ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا إن الأُلى ـ وربما قال الملا ـ قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا)** . يرفع بها صوته [٢].

لذا حُقَ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تقول حينما سُئلت عن خُلق النَّبيّ ﷺ أن تقول: **(كان خُلقه القرآن)** [٣].

ولمعرفة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لمنزلة عمل العامل في نفوس غيره أشارت على النَّبيّ ﷺ يوم الحديبية بأعظم مشورة قامت بها امرأة فقد ورد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه **(قوموا فانحروا ثم احلقوا)** . قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ ، اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك وتدعو حالِقك فيلحقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً؛ حتى كاد بعضهم يقتل غمًّا) [٤] .

فإذا فعل الداعية فعلاً يخالف قوله تسرب الشك وسوء الظن إلى نفوس

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٦٩٤ .

(٢) رواه البخاري برقم ٦٨٠٩، ومسلم برقم ١٢٥ / ١٨٠٣ ، وأحمد برقم ١٨٥٩٣ ، والدارمي برقم ٢٤٥٥ ، وابن حبان برقم ٤٥٣٥ .

(٣) رواه الإمام أحمد برقم ٢٥٣٤١ وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٤٨١١ .

(٤) رواه البخاري برقم ٢٥٨١ ، وابن حبان برقم ٤٨٧٢ ، والطبراني في الكبير برقم ١٣ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٨٥٨٧ .

سامعيه، وبذا ينقسم من سمعه قسمين: الأول محب للداعية قريب منه فيستشكل عليه الأمر وقد يلتمس لذلك عذراً وإن أراد معرفة الصواب سأل عما أشكل عليه ومثال ذلك لما نهى النَّبيّ ﷺ عن صلاة ركعتين بعد العصر ثم إنه في يوم من الأيام صلى بعد العصر ركعتين فاستشكل هذا الأمر على أم سلمة رضي الله عنها، قالت أم سلمة رضي الله عنها سمعت النَّبيّ ﷺ ينهى عنها (١)، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما ؟، فإن أشار بيده فاستأخري عنه ففعلت الجارية، فأشار بيده، فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: (**يا بنت أبي أمية سألتِ عن الركعتين بعد العصر؛ وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان**) (٢).

الثانى: مبغض للداعية أو بعيد عنه، وهذا قد يسئ الظن بالداعية، وله في ذلك عذر لأن النفوس مجبولة على قبول كلام من يوافق قوله فعله.

ساق الخطيب البغدادي بسنده عن الزهري قال: (لا يَرْضَيَنَّ الناس قول عالم لا يعمل، ولا عامل لا يعلم) (٣).

وبسنده عن أبي حازم قال: (رضى الناس من العمل بالعلم ورضوا من الفعل بالقول) (٤).

فرحم الله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أمر الناس بأمر بدأ بأهله؛ وعزم عليهم أن يفعلوه، وإن نهى عن أمر بدأ بأهله؛ وحرج عليهم أن يفعلوه؛ حتى لا يتسرب سُوء الظن إلى نفوس الرعية.

---

(١) تقصد صلاة ركعتين بعد العصر.

(٢) رواه البخاري برقم ١١٧٦، ومسلم برقم ٢٩٧ / ٨٣٤، وأبو داود برقم ١٢٧٣، والدارمي برقم ١٤٣٦، وابن حبان برقم ١٥٧٦، والبيهقي في الكبرى برقم ٣٢٢٩.

(٣) اقتضاء العلم العمل ص ٢٨، وحسنه الألباني موقوفاً.

(٤) اقتضاء العلم العمل ص ٦١.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء دخل إلى أهله أو قال جمع ، فقال : إني نهيت عن كذا وكذا والناس إنما ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقعوا وإن هبتم هابوا وإني والله لا أوتي برجل منكم وقع في شيء مما نهيت عنه الناس إلا أضعفت له العقوبة لمكانه مني فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر) [١].

إن الذي يخالف قوله فعله يصد عن سبيل الله وهو لا يدري يقول ابن القيم: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق[٢].

وساق الخطيب البغدادي بسنده عن مالك قال :قرأت في التوراة: (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يَزِلُّ القطر عن الصفا) [٣].

وقال المناوى: مثل المرشد من المسترشد كمثل العود من الظل فمتى يستوي الظل والعود أعوج ؟ [٤].

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُقتدى ... بالرأى منك وينفع التعليم
لا تنه عن خُلقٍ وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم [٥]

---

(١) مصنف عبد الرزاق برقم ٢٠٧١٣ ، ومصنف بن أبي شيبة ٣٠٦٤٣ .
(٢) الفوائد ص ٨٤ .
(٣) اقتضاء العلم العمل ص ٦٢ .
(٤) فيض القدير ١ / ٧٨ .
(٥) نقلاً من الموافقات ٤ / ٢١٢ .

قال علي رضي الله عنه : (تعلموا العلم تُعرفوا به،واعملوا به تكونوا من أهله)[١].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (تعلموا تعلموا فإذا علمتم فاعملوا)[٢].

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء : إنما العلم كالينابيع فينفع به الله من شاء، ومثل حكمة لا يُتكلم بها كجسد لا روح له، ومثل علم لا يُعْمَل به كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل العالم كمثل رجل أضاء له مصباح في طريق فجعل الناس يستضيئون به وكل يدعو له بالخير[٣].

لذا عاب ربنا على أناس يأمرون غيرهم بالبر ولا يعملون به فقال تعالى :﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة:٤٤] .

وأوضح جل شأنه أنه يمقت من يقول ولا يفعل فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ .

[الصف :٢-٣] .

وحذر النَّبيّ من يأمر بالمعروف ولا يأتيه، فيخالف بقوله فعله فوعده بعذاب لا يطاق في نار جهنم يوم القيامة حيث تخرج أمعاؤه من جوفه ويدور حولها كما يدور الحمار حول الرحى فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال : **«يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلاناً ما شأنك ؟ ، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ ، قال :كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه »**[٤] .

---

(١) سُنن الدارمي برقم ٢٥٩ .

(٢) سُنن الدارمي ١ / ١١٥ برقم ٣٦٦ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٧ / ١٠٥ برقم ٣٤٥٤٧ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ١٢١ برقم ٣٤٦٦٦ ، وسنن الدارمي ١ / ١٤٨ برقم ٥٥٧ .

(٤) رواه البخاري برقم ٣٠٩٤ ، ومسلم برقم ٥١ / ٢٩٨٩ ، وأحمد برقم ٢١٨٣٢ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٩٩٩٦ .

يقول المناوي: فحق الواعظ أن يتعظ بما يعظ ويُبْصِر ثم يُبَصِّر، ويهتدي ثم يهدى، ولا يكون دفتراً يفيد ولا يستفيد ومِسَنَّاً يشحذ ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمى أكثر، ويجب أن لا يجرح مقاله بفعله ولا يُكَذِّب لسانه بحاله فيكون ممن وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] ، فالواعظ ما لم يكن مع مقاله فعَال لم يُنْتَفع به، إذ عمله مُدرك بالبصر، وعلمه مُدرك بالبصيرة، وأكثر الناس أهل أبصار لا بصائر، فيجب كون عنايته بإظهار ما يدرِكه جماعتهم أكثر، ومنزلة الواعظ من الموعوظ كالمداوِي من المداوَى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس لا تأكلوا كذا فإنه سم ثم رأوه يأكله عُد سُخرية وهزوا؛ كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله، ومن ثَم قيل يا طبيب طبب نفسك، فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع، فكما يستحيل انطباع الطين من الطابع بما ليس منتقشاً فيه، فمحال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في نفس الواعظ . وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه. وقيل : عمل رجل في ألف رجل ، أبلغ من قول ألف رجل في رجل [١].

وحتى ينتظم لك الأمر وتثمر دعوتك فعليك بما قاله الحسن البصرى: إذا كنت آمراً بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت) [٢] .

وانظر إلى الغلام كيف كانت أفعاله مطابقة لدعوته، فكان قدوة عملية لتابعيه فلما جاد بنفسه ـ ومن قبله الراهب وجليس الملك ـ ما كان من تابعيه إلا أن تساقطوا في النار كأنهم جنادب وفراشات مطمئنة بذلك نفوسهم قريري الأعين فكانت عليهم برداً وسلاماً.

---

(١) فيض القدير ١ / ٧٨ .

(٢) الزهد للإمام أحمد ص ٢١٠ .

استـــدراك :

طرح الشيخ فضل إلهي سؤال: هل للمقصر ترك الدعوة إلى الله تعالى؟ (١).

ثم شرع في الإجابة قائلاً: يردد كثير من إخواننا المسلمين: (لا نقوم بالدعوة لأننا مقصرون). ويحتجون لترك القيام بالدعوة بالنصوص التي ورد فيها ذم من خالف فعله قوله، ويبررون موقفهم كذلك بأن قيامهم بالدعوة سيسئ إلى سمعة الإسلام بسبب سوء تصرفاتهم، ويزعمون كذلك أن دعوتهم لن يستجيب الناس لها بسبب وجود الخلل والنقص فيهم، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ثم قال في بيان الموقف الصحيح: هناك واجبان:

الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: فعل المعروف وترك المنكر.

إن النصوص التي احتج بها هؤلاء الإخوة ليس فيها ذم بسبب القيام بالواجب الأول، بل فيها ذم بسبب ترك القيام بالواجب الثانى، لم يُنْكَر فيها بسبب أمر الناس بالبر ونهيهم عن المنكر، والتلفظ بالقول الطيب، بل إنما أُنكر فيها بسبب نسيان الأنفس، وترك المعروف، وارتكاب المنكر، وعدم الفعل وفق القول الطيب.

فعلى سبيل المثال هناك طالب نجح في مادة « التفسير » ، ورسب في مادة الحديث هل يُعقل توجيه اللوم بسبب النجاح في مادة التفسير ؟ بل، إنما يلام بسبب رسوبه في مادة الحديث.

هذا، وقد صرح كثير من المفسرين رحمهم الله تعالى أن التوبيخ في تلك النصوص بسبب ترك المعروف وليس بسبب الأمر بالمعروف،وفيما يلي أذكر أقوال بعضهم:

[١] قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة :٤٤] : اعلم وفقك الله

(١) انظر السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ص ١٩٦ وما بعدها.

تعالى أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر ، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها [١].

[٢] **وقال الحافظ بن كثير**: وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم [٢].

[٣] **وقال البيضاوى**: (والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وأن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالي عن العقل فإن الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوَّم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر) [٣].

[٤] **وقال العلامة الشوكاني في تفسيره**: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبر فإنه فعل حسن مندوب إليه بل بسبب ترك فعل البر المستفاد من قوله :﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٤][٥].

[٥] **قال العلامة السعدي كلاماً نفيساً في تفسيره**: وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أُمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين ، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله ،

---

(١) تفسير القرطبي ١ / ٢٤٩ .
(٢) عمدة التفسير ١ / ١٠٠ .
(٣) تفسير البيضاوي ١ / ٣١٥ .
(٤) فتح القدير ١ / ١٢٢ .
(٥) السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ص ١٩٦ –١٩٨ بتصرف يسير.

فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة [١].

يقول الشيخ الحمد: ليس من شروط القدوة العصمة؛ فالعصمة إنما هي للأنبياء ـ عليهم السلام ـ فيما يبلغون عن ربهم. ولا يضيرك تقصيرك ما دمت مخلصاً في نصحك، حريصاً على تكميل نفسك وغيرك؛ فالسعي في التكميل كمال، ومن الذي يخلو من النقائص ؟ فأي الرجال المهذب ؟

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفي المرء نبلاً أن تُعد معايبه [٢]

ولو ترك الناس النصح بحجة التقصير لما بقي ناصح على وجه الأرض، ولو كان شرط القدوة العصمة لما بقي للناس قدوة بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

إذا لم يعظ في الناس من هو مذنب ... فمن يعظ العاصين بعد محمد

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ : (فرضٌ على الناس تعلُّمُ الخير والعمل به؛ فمن جمع الأمرين فقد استوفي الفضيلتين معاً، ومن عَلِمَهُ ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك العمل به، فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً) [٣].

وقال: (ولو لم يَنْهَ عن الشر إلا من ليس فيه منه شيء، ولا أمر بالخير إلا من استوعبه ـ لما نهى أحدٌ عن شر، ولا أمر بخير بعد النَّبيّ ﷺ ـ وحسبك بمن أدَّي رأيه إلى هذا فساداً، وسوءَ طبعٍ، وذمَّ حال) [٤].

وقال: (وقد صح عن الحسن أنه سمع إنساناً يقول: لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله. فقال الحسن: ودَّ إبليس لو ظفر منا بهذه؛ حتى لا ينهى أحد عن منكر، ولا يأمر بمعروف) [٥] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤ .
(٢) ديوان بشار بن برد ص ٤٥ ، نقلاً من مع المعلمين ص ٢١ .
(٣) الأخلاق والسير ص ٩٢ نقلاً من السابق ص ٢١ .
(٤) الأخلاق والسير ص ٩٢ نقلاً من السابق ص ٢١ .
(٥) الأخلاق والسير ص ٩٣ نقلاً من السابق ص ٢١ .

وخلاصة القول أن الناس في الدعوة إلى الله على أربعة أحوال:

الأول: يقول الحق ويفعل ما يوافقه وهذا أكمل الناس وبه يُقتدي ولدعوته صدى في النفوس وتأثير في الخلق عجيب.

الثاني: يفعل الحق ولا يتكلم فهذا دون الأول ولكنه يؤجر على فعله ويلام على تقصيره إن كان قادراً على البلاغ.

الثالث: يقول ولا يفعل وهذا منه صنفان:

[١] لم يفعل تكاسلاً أو تشاغلاً أو متعللاً بغير علة فهذا يلحقه الذم والتوبيخ على تقصيره في العمل ويمدح على بلاغه وإن كان في الدرجة أقل من سابقيه.

[٢] لم يفعل لعذر ألم به وهذا مأجور ومثله: أن عبد الله بن عبد الله بن عمر أخبر أنه: كان يرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتربع في الصلاة إذا جلس ففعلته وأنا يومئذ حديث السن فنهاني عبد الله بن عمر وقال: إنما سُنَّة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنى وتثني اليسرى، فقلت إنك تفعل ذلك ؟ فقال إن رجلي لا تحملاني)[١].

فقد أمر عبد الله بن عمر بالجلسة الصحيحة للصلاة برغم أنه يجلس بخلافها فلما عوتب في ذلك اعتذر بأن رجله لا تحمله، وهو في ذلك مأجور معذور.

الرابع: لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يفعل من ذلك شيء فهذا شأنه والبهيمة سواء وهو مقصر موزور على كل حال حتى ينتقل إلى إحدى الثلاث السالف ذكرها.

---

(١) رواه البخاري برقم ٧٩٣ ، والبيهقي في الكبرى برقم ٢٦٠٥ .

الدرس الثالث: الشجرة لا تثمر إلا بعد أن تتآكل بذرتها في الأرض و لا يبقي لها أثر:

في الفترة الأخيرة وبعد أن استُضعفت الأمة، وتداعت عليها الأمم من كل حدب وصوب؛ تستبيح بيضتها، وتبيد خضراءها، وتسعى لاستئصال شأفتها، نبتت بين طياتها نابتة تدعو إلى الرجوع لدين الله حتى يُمَكَّن لهذه الأمة في الأرض، وتعود كسابق عهدها إلى قيادة العالم لتعبيد الناس لرب الناس، ولكن انقسمت هذه النابتة إلى فريقين:

الأول قال: إن التمكين منَّة من الله ولا يجوز السعى إليه.

والثاني قال: إن السعى للتمكين واجب على الأمة ، فسلك كل السبل إلى التمكين، واستعان بكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة.

فأي الفريقين على صواب ؟:

وللإجابة على هذا السؤال نطرح عدة أسئلة ومن خلال الإجابة عنها بإذن الله يبين الحق.

السؤال الأول: ما حكم السعي للتمكين ؟.

إن السعى للتمكين وإقامة دولة الإسلام فرض كفاية بالنسبة للأقطار التي يقوم الدعاة فيها بواجب الدعوة، فإن كل قطر أو إقليم يحتاج إلى تمكين أهل الحق فيه، فالتمكين فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب وصار في حق الباقين سنة مؤكدة، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو القطر المعين بالسعي للتمكين على التمام صار الإثم عاماً وصار الواجب على الجميع وعلى كل إنسان أن يسعى بحسب طاقته وإمكاناته، وهذا يعني أنه فرض عين على بعض الأفراد الذين ثبت في حقهم القيام بحمل أمانة هذا الدين، وفرض كفاية على الأمة، فعلى كل فرد أن يسعى وسعيه فرض كفاية فإن لم يقم بعض الأفراد بالسعي للتمكين أثمت الأمة جميعها على تفريطها في السعي لإقامة دولة

الإسلام، ومن ثم يتضح فساد من قال : إن التمكين منَّة من الله فلا يجوز السعى إليه، وهؤلاء متكاسلون متخاذلون متواكلون، ما فطنوا إلى أن الأسباب مفضية إلى غاياتها، والغايات مترتبة على أسبابها، فللوصول إلى غاية ما يجب الأخذ بأسبابها المشروعة، والتماس التوفيق من الله ، كما يتضح أن من قال بوجوب السعي للتمكين معهم بعض الحق.

السؤال الثاني : كيف نسعى للتمكين ؟ .

ظن البعض أن المقصود بالسعي للتمكين هو السعي في الوصول إلى السلطة، فإن وصلوا إلى السلطة فقد تم التمكين للأمة، وهذا كلام باطل لأن السعي للتمكين على ضربين: سعي وسائل، وسعي طلب.

والأول : محمود مندوب إلى فعله، والثاني : مذموم منهي عنه.

أولاً : سعي الأسباب وأقصد به السعي للتمكين عن طريق سلوك الأسباب المؤدية إليه وهو مطلوب من الأمة كلها فعليها أن تأخذ بأسباب التمكين الشرعية بأن تكون أهلاً للتمكين وفي هذه الحالة قد يمن الله بالتمكين للأمة وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾** ﴾ [النور :٥٥] .

فإنما الوعد بالاستخلاف والتمكين لمن آمن وعمل صالحاً ولم يشرك بربه أحداً.

قال القرطبي بعد أن ساق جملة من الأقوال على أن هذه الآية خاصة في النَّبيّ ﷺ وصحابته : وقال قوم : هذا وعد لجميع الأمة في ملك الأرض كلها تحت كلمة الإسلام كما قال : (**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها**

وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها) ، واختار هذا القول ابن عطية في تفسيره حيث قال: والصحيح في الآية أنها في استخلاف الجمهور، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها كالذي جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب، قال ابن العربي : قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة فنفذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله... ثم قال (أي القرطبي): فصح أن الآية عامة لأمة محمد غير مخصوصة إذ التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم [١] .

قال السعدي: هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، فيكونون هم الخلفاء فيها المتصرفين في تدبيرها، وأن يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة لفضلها وشرفها ونعمته عليها بأن يتمكنوا من إقامته وإقامة شرائعه الظاهرة في أنفسهم وغيرهم ... ثم قال: ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط الله عليهم الكفار والمنافقين ويُديلُهم في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح ﴿ **وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ** ﴾ التمكين والسلطنة التامة لكم يا معشر المسلمين ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ الذين خرجوا عن طاعة الله وفسدوا فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير؛ لأن الذي يترك الإيمان في حال عزة وقهره وعدم وجود الأسباب المانعة منه يدل على فساد نيته وخبث طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك) [٢] .

يقول العفاني: إنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج الله ، وحكمت هذا النهج في الحياة وارتضته في كل أمورها إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين

---

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ١٩٦، ١٩٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٢٣ .

والأمن ، وما من مرة خالفت هذا النهج إلا تخلّفت في ذيل القافلة، وذُلت، وطُردت من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف، وتخطفها الأعداء.

ألا إن وعد الله قائم، ألا وإن شرط الله معروف، فمن شاء الوعد فليقم بالشرط، ومن أوفي بعهده من الله ؟ (١) .

ومن ثم فالتمكين لدين الله لا ينحصر في زمان معين أو مكان معين أو أشخاص بعينهم ولكن أي فئة استجمعت شروط التمكين في أي مكان أو أي زمان لابد وأن يمن الله لها بالتمكين في الأرض وهذا من وعود الله التي لا تتخلف فمن أحسن الظن وأيقن بوعد الله وأخذ بالأسباب الشرعية المؤدية إليه أعطاه الله فوق ما يريد فإنه كثير العطاء وافر النعم.

شبهة : يقول البعض إذا كان هذا الوعد حق فلماذا يوجد في بعض الأوقات أناس تتوافر فيهم شروط التمكين ولا يمكّن الله لهم ؟ .

الـــرد: قال ابن القيم: أنه سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير (٢) .

وقال أيضاً: أن حكمة الله وسُنَّته في رسله وأتباعهم جرت بأن يُدالوا مرة ويُدال عليهم أخرى؛ لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انتُصِر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة (٣) .

---

(١) تثبيت قلوب المؤمنين ص ٤١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ١٣٩ .

(٣) زاد المعاد ٢ / ١٣٨ .

ثانياً: سعى الطلب، وأقصد به السعى طلباً للسلطة حتى يتسنى لمن حصل على الإمارة أن يقيم دين الله بزعمه فيمن تحته من الرعية وهذا سعى مذموم منهى عنه وذلك لما ورد من صريح النهى عن طلب الإمارة أو حتى مجرد الحرص عليه في أكثر من حديث للنَّبيّ ﷺ والتي منها:

عن أبي موسى قال: دخلت على النَّبيّ ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أمِّرنا على بعض ما ولا ك الله، وقال الآخر مثل ذلك فقال: **(إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه)**[١].

وعنه أيضاً قال: أقبلت إلى النَّبيّ ﷺ ومعى رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، ورسول الله ﷺ يستاك فكلاهما سأل فقال: (يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس). قال قلت والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت فقال: **(لن ـ أو ـ لا نستعمل على عملنا من أراده ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن)** [٢].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي النبي ﷺ: **(يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكِّلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أُعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير)** [٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟، قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: **(يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة**

---

(١) رواه مسلم برقم ١٤ / ١٧٣٣، وابن حبان برقم ٤٤٨١، والبيهقي في الكبرى برقم ٢٠٠٣٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٥٢٥، ومسلم برقم ١٥ / ١٧٣٣، وأبو داود برقم ٤٣٥٤، والنسائي برقم ٤، وأحمد برقم ١٩٦٨١، والطبراني في الكبير برقم ٦٥.

(٣) رواه البخاري برقم ٦٢٤٨، ومسلم برقم ٣ / ١٦٥٢، وأبو داود برقم ٢٩٢٩، وابن حبان برقم ٤٤٨٠، وأحمد برقم ٢٠٦٤٧.

خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) [١].

وعنه أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله قال ﷺ : **(يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمَّرنَّ على اثنين و لا تولين مال يتيم)** [٢].

فبرغم ما ورد من النهى المؤكد عن النَّبيّ ﷺ عن أكثر من صحابي مما يدل على أن النهى قد تكرر مما يجعله نهياً مؤكداً لا نقاش فيه، لكن بعض من لم يفقه كلام رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ وإنما يفهمه بحسب هواه وما يتمناه، يلوي أعناق النصوص متخذاً من الدين تكأة يتكئ عليها في الوصول إلى مطامعه من حب الرياسة وتقلد الزعامة.

فهؤلاء فئة من النفوس الشرهة الوثابة التي تأخذ الدين مطية للوصول إلى مطامع دنية دنيوية يصدق فيهم ما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قال : **(إنكم ستحرصون على الإمارة ،وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة)** [٣] :

شبهة سبق الـــرد عليها :

وهي تعلق البعض بقول سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ** ﴾ وزعموا زوراً وبهتاناً أنه طلب الإمارة ولهم فيه أسوة، فراجع ردها في الوقفة الأولى الدرس الثاني .

ومنه يُعلم أن سعى الطلب مذموم إن كان طالبه من أهل التقى وبفرض أنه يسعى بوسائل شرعية، فما بالك بمن يسعى للسلطة والتمكين من خلالها، ولم يستوف بعض شروط التمكين، وغير ذلك أنه سلك كل مسلك فاسد من الدخول

---

(١) رواه مسلم ١٦ / ١٨٢٥ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٩٩٩٩ .

(٢) رواه مسلم برقم ١٧ / ١٨٢٦ ، وأبو داود برقم ٢٨٦٨ ،والنسائي برقم ٣٦٦٧ ، وابن حبان برقم ٥٥٦٤، والحاكم في المستدرك برقم ٧٠١٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٧٤٥٤ .

(٣) رواه البخاري برقم ٦٧٢٩ ، والنسائي برقم ٤٢١١ ، وابن حبان برقم ٤٤٨٢ ، والبيهقي في الكبرى برقم ٥١٢٧ .

في تنظيمات، ومجالس نيابية، وتشريعية، وتنازلات عن ثوابت الدين بدعوى إقامة الدين ! شعارهم في ذلك هل تسمح لي أن أهدم الدين باسم الدين ؟! .

ألا يرعوى هؤلاء ويسعون سعي وسائل ويصغون لقائلهم وإمامهم: أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم.

السؤال الثالث: هل المقصود بالتمكين تمكين الأفراد أم تمكين الدين ؟ :

إن الله ما بعث رسله وأنزل كتبه إلا لتسيير الدنيا وفق ما يحب ويرضى، ولن يكون ذلك إلا بإقامة أمة ترتضي ما أنزل الله وتجعله منهاج حياة يظل ما قر للدنيا قرار، يبقى أبد الآباد وعلى مر الدهور وكر العصور، وليس المقصود تمكين أناس في فترة من الزمن ثم يموت ما يعتقدون بموتهم ودقق النظر جيداً فيما طلبه الخباب رضي الله عنه من النَّبيّ ﷺ وبما رد عليه.

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال : (**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه . ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليُتمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**)[1] .

فقد طلب الخباب رضي الله عنه ومن معه النصرة والتمكين لأنفسهم كأفراد فقال: قلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ ، ولكن النَّبيّ ﷺ وعده بالنصر والتمكين ولكن ليس لأفرادهم ولكن لهذا الدين ، فقال ﷺ : «**والله ليُتمَّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب**

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٤١٦، ٦٥٤٤ ، وأحمد برقم ٢١١١٠ ، وابن حبان برقم ٦٦٩٨ ، والطبراني في الكبير برقم ٣٦٣٨ .

على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وبذا يتضح أنه من استجمع شروط التمكين إما أن يمن الله بالتمكين في حياته أو بتمكين منهجه بعد موته، فالنَّبيّ مُكّن له في حياته، والغلام مُكّن لمنهاجه بعد موته وفي كلتا الحالتين صدق الله وعده ووفي عهده بالتمكين لمن آمن وعمل صالحاً.

وأقول لأولئك المتعجلين : اعملوا جاهدين لكي تكونوا محلاً للتمكين ولا تتعجلوا، فإن الشجرة لا تثمر إلا بعد أن تتآكل بذرتها في الأرض ولا يبقى لها أثر، فأين ما زرعتم ؟ فأني لجانٍ أن يجنِي بغير غرس ؟ فمن طلب جَنْياً بغير غرس فقد نسب نفسه إلى الحماقة ! وانتهزوا الفرصة فالعمل في أيام الاستضعاف أعظم أجراً من العمل في حال التمكين، فهل يستوي أجر من يجد على الخير أعواناً بمن لا يجد على الخير أعواناً ؟! .

وخلاصة القول:

أن التمكين مِنَّة من الله يمن به على من استكمل شروطه ولا يُشترط أن يكون ذلك في حياته لأن التمكين الحق هو تمكين الدين لا تمكين الأفراد.

الوقفة العشرون

[فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخُدت، وأضرِم فيها النيران، وقال : " من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها" أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : " يا أمه اصبري فإنك على الحق] :

وفيها درسان :

الدرس الأول: العنف حجة من لا حجة له :

هذا سلوك كل عاجز عن إقامة الحجة، فالعنف أعظم وسيلة لمن فقد الحجة وعجز عن إقناع غيره، فإطالة اليد أكبر دليل على عجز اللسان فها هو فرعون لما عجز عن مواجهة حجة موسى بحجة مثلها لجأ إلى العنف وحاول التخلص منه ومن معه، ولما انهارت حجج المشركين أمام برهان النَّبيّ قاطعوه، وعذبوا أصحابه، وخططوا لقتله لولا أن نجاه الله منهم، وفي قصتنا لما عجز الملك عن إقناع جليسه بصحة ما يدعيه عذبه حتى قتله، وثنى بالراهب ففعل به مثلما فعل بجليسه، ثم انثنى على الغلام فحاول أن يتخلص منه في بادىء الأمر ثم أرداه قتيلاً شهيداً في سبيل الله ، ورغم البراهين التي ظهرت له حال تنفيذه لذلك إلا أنه أصر على الضلال، وختم بكل من خالفه من أهل مملكته وأوردهم نار الدنيا فكانت برداً وسلاماً على كل من أُلقى فيها بإذن الله .

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم : فاللجوء إلى العنف والبطش هو أسلوب

الطغاة والجبابرة في كل زمان ومكان، فلا حجة لديهم ولا إقناع عندهم، وكيف يكون عندهم حجة أو إقناع ؟ والباطل لجلج وعليه ظلمة وهو مخالف للعقل والفطرة والكتب المنزلة والرسل المرسلة وقد قال الله تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر :٤٢] .أي لا حجة له في إغواء العباد، ومن طالع قصة فرعون علم أن البطش والعنف هو سلاح الضعيف العاجز السفيه، فقد شرع يقتل الصبيان ويستحى الإناث لرؤيا تفيد أن إهلاكه سيكون على يد غلام من بني إسرائيل، وسواء كانت الرؤيا حقة أو باطلة فلا يحل له صنيعه هذا، إذ لو كانت حقة فسيهلك حتماً وبالتالي فلا داعي لقتل الصبيان، وإن كانت باطلة فلا داعي لقتلهم وإتلاف الأنفس البريئة، ويدل على سفهه أيضاً أنه واجه نبي الله موسى بجيش من السحرة رغبهم في الملك والمال وهو الذي يدَّعي الربوبية والألوهية مع الله ، ثم لما آمنوا وأسلموا لله رب العالمين، تهددهم وتوعدهم وقال : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه :٧١] .

فهذا هو منطق الطغيان، وانظر في قول الكفار لشعيب وهو خطيب الأنبياء: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ [هود : ٩١] ، فأين حجتهم في مواجهته، وقال تعالى عن قوم لوط ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)﴾ [النمل:٥٦] ، فهل يكون جزاء العفاف والطهر الطرد والإبعاد؟! وقد شهد ببراءة يوسف كل شيء الشاهد والملك والمرأة والنسوة وعلى الرغم من ذلك أدخلوه السجن ليدفع البرىء ثمن تهتك امرأة العزيز: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾ [يوسف:٣٥]. وقُتل صاحب يس، فأين الحجة والبرهان والبصيرة في تصرفات الطغاة والطواغيت ؟! (١).

(١) قصة أصحاب الأخدود للشيخ / سعيد عبد العظيم ص ١٨٤- ١٨٧ باختصار وتصرف.

وفي تعذيب الملك لأبطال قصتنا يقول الشيخ ياسر برهامي: نرى الأسلوب القديم الجديد من أهل الباطل والكفر في مواجهة الحق فلا نقاش ولا حجة ولا دليل ولا حوار وإنما هو البطش والتنكيل فهل ترون يا عباد الله ما بقي من ملك ذلك الملك وبطشه ؟،وهل ترون من ملك فرعون وبطشه؟،ولماذا نذهب بعيداً فما بقي من ملك من تسمى « بشاهنشاه أي ملك الملوك » في زماننا [١] وما يبقى من مُلك كل طاغية جبار ؟ الإجابة واحدة: لم يبق من ذلك كله إلا الأحاديث ، فصدق الله إذ قال: ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون :٤٤] .

وعن قريب يزول ملك طغاتكم أيها المعذبون وترحلون أنتم وهم إلى دار لا ظلم فيها ولا بخس ولا عدوان وحسبنا الله ونعم الوكيل [٢] .

والمُقلب لأوراق التاريخ يجد أن خفاف العقول من أهل الباطل ـ على مر العصور والدهور وفي كل الأمم ـ يلجأون إلى العنف والقوة عندما تعجز حججهم أمام أهل الحق، ومن أنصع الأمثلة التي يجب أن تنقش على القلوب بماء الذهب قصة سعيد بن جبير مع الحجاج بن يوسف الثقفي والتي صاغها د/ رأفت الباشا بقلمه الرشيق فقال: بلغ الجند بالإمام الحبر العابد الزاهد؛ التقى النقي الورع مدينة « واسط » وأدخلوه على الحجاج.

فلما صار عنده نظر إليه في حقد وقال ما اسمك ؟.

■ قال: سعيد بن جبير.

● فقال : بل شقي بن كسير.

■ فقال: بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

● فقال: ما تقول في محمد ؟

---

(١) هذا لقب شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي الذي مات بمصر مريضاً بالسرطان طريداً مهيناً.

(٢) قصة أصحاب الأخدود للشيخ ياسر برهامي ص ٥٢ .

■ قال : تعني محمد بن عبد الله .

● فقال : نعم.

■ قال: سيد ولد آدم، النَّبيّ المصطفي ﷺ، خير من بقى من البشر، وخير من مضى ، حمل الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لله ، ولكتابه، ولعامة المسلمين وخاصتهم .

● قال : فما تقول في أبي بكر ؟.

■ قال : هو الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، ذهب حميداً ، وعاش سعيداً ، ومضى على منهاج النَّبيّ ﷺ لم يغير ولم يبدل.

● قال: ما تقول في عمر ؟.

■ قال : هو الفاروق رضي الله عنه الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، وخيرة الله وخيرة رسوله، ولقد مضى على منهاج صاحبيه، فعاش حميداً وقتل شهيداً.

● قال : فما تقول في عثمان ؟.

■ قال: هو المجهز لجيش العسرة، الحافر بئر رومة، المشتري بيتاً لنفسه في الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، ولقد زوجه النَّبيّ ﷺ بوحي من السماء، وهو المقتول ظلماً.

● قال: فما تقول في عليّ ؟.

■ قال : ابن عم رسول الله ﷺ وأول من أسلم من الفتيان، وهو زوج فاطمة البتول رضي الله عنها، وأبو الحسن والحسين رضي الله عنهما سيدَى شباب أهل الجنة.

● قال: فأي خلفاء بني أمية أعجب إليك ؟.

■ قال: أرضاهم لخالقه.

● قال: فأيهم أرضى لخالقه ؟.

■ قال: عِلْمُ ذلك عند الذي يعلم سِرَّهم ونجواهم.

● قال: فما تقول فيَّ ؟.

■ قال: أنت أعلم بنفسك.

● قال: بل أريد علمك أنت.

■ قال: إذن يسوءك ولا يسرك.

● قال: لابد من أن أسمع منك.

■ قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى، تُقْدِم على أمور تريد به الهيبة، وهي تقحمك في الهلكة، وتدفعك إلى النار دفعاً.

● قال: أما والله لأقتلنك.

■ قال: إذن تفسد عليَّ دنياىَ، وأفسد عليك آخرتك.

● قال: اختر لنفسك أي قتلة شئت.

■ قال: بل اخترها أنت لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

● قال: أفتريد أن أعفو عنك ؟.

■ قال: إن كان عفو من الله تعالى، أما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

● فاغتاظ الحجاج وقال: السيف والنطع يا غلام.

■ فتبسم سعيد، فقال الحجاج: وما تبسمك ؟.

■ قال: عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك.

● فقال: اقتله يا غلام.

■ فاستقبل القبلة وقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام:٧٩] .

● قال: احرفوا وجهه عن القبلة.

■ فقال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

● فقال: كبوه على الأرض.

■ فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

● فقال: اذبحوا عدو الله، فما رأيت رجلاً أدعى منه لآيات القرآن.

■ فرفع سعيد كفيه وقال: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي [١].

الدرس الثاني: أما لكم في النساء أسوة ؟!

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي قد تحلَّب ثديها تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟**» قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن تطرحه؟!، فقال رسول الله: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**» [٢].

تأمل حال تلك المرأة التي فقدت وليدها في الحرب ومدى حدبها عليه وانشغالها بالتماسه وهي في ضيق السبي الذي ما شغلها عن التماس ابنها حتى وجدته، ثم تأمل سؤال النَّبيّ ﷺ لصحابته رضي الله عنهم: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟، وهو سؤال يدل على غلبة الظن أنه أمر مستحيل، وتأمل رد الصحابة بالنفي المؤكد بالقسم المتبوع بسؤالهم: وهي تقدر على أن تطرحه؟، الدال على شدة العجب وتأكيد استحالة وقوع هذا الأمر من تلكم المرأة.

تأمل حال هذه المرأة والمرأة التي في قصتنا فقد هان الأمر عندها فطرحت وليدها في النار رغم استحالة وقوع ذلك من امرأة،وأعظم من ذلك أنها جادت بنفسها معه، لا لشيء إلا لأنها رغبت فيما عند الله فعملت ما قطع باستحالته الرجال.

---

(١) صور من حياة التابعين ص ٢٢٣ / ٢٢٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٦٥٣ومسلم برقم ٢٢ / ٢٥٧٤ والطبراني في الصغير برقم ٢٧٢، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٧١٣٢.

ولو كان النساء كمثل هذى لفُضِّلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخر للهلال

رجالنا ؛ أما لكم في النساء أسوة ؟!! :

في هذا الزمان بعض الرجال قد تأنث عزمه، وهمته، وفعاله، وإن بقى له ظاهر الذكورة، برغم أنهم نشأوا وترعرعوا بين جنبات هذه الأمة المباركة، فهم مسوخ في صور بشر، ومسلكهم يدل على أنهم تركوا الرجولة وراءهم ظهرياً، فإلى أولئك أتوجه، رجالنا أما لكم في النساء أسوة ؟.

إلى من يضحى من أجل السيجارة، والكأس، والشمة، والتعميرة، بماله وصحته، هلا ضحيت لله بعشر معشار ما تضحى به من أجل سيجارة، أو كأس أو شمة، أو تعميرة، وحفظت صحتك ومالك.

إلى من يضحي بعمره لاهثاً آناء الله وأطراف النهار بين فضائحيات لمشاهدة ساقطين وساقطات، مفضوحين ومفضوحات، ولاعبين ولاعبات، لاهين ولاهيات، هلا ضحيت ببعض وقتك لتصُف قدميك في جوف الليل بين يدي ربك.

إلى من ضحى بعمره يقلب الورق والشطرنج والطاولة، هلا ضحيت بوقتك لتقلب صفحات كتاب الله ، أو أي كتاب يدل على الله .

نساءنا ؛ أمَ لكم في النساء أسوة ؟ :

لقد تأسيتن بسواقط النساء في المأكل والمشرب والملبس والمشية حتى في طريقة الكلام، وتحسبن أنكن تحسن صنعاً، فأين من تأست بخديجة أو عائشة أو فاطمة رضي الله عنهن ؟ .

إلى كل هؤلاء وغيرهم من الرجال والنساء أسألهم أما لكم في النساء أسوة إن كان التأسي بالرجال في نظركم عزيزاً ؟.

فأين المضحون لإعلاء كلمة الله ـ عز وجل ـ ؟ ، لو قلبت ناظريك وتصفحت

بهما كل الوجوه التي تلقاك ما وجدت بينهم من يريد أن يضحى لإعلاء لا إله الا الله خفاقة في السماء إلا النذر اليسير وكأن الله خاطب بهذه الآية غيرنا فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١] .

فأين هؤلاء الذين باعوا أنفسهم لله في سوق الرقيق، وما رضوا أن يكونوا عبيداً لغيره ؟ أين هؤلاء ؟ .

إننا أبينا إلا أن نبيع أنفسنا، ولكن ما بعناها لخير سيد، ورضينا بالرق والاستعباد لغيره من أعراض الدنيا؛ فلازمتنا التعاسة بحقها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطى رضي وإن لم يعط لم يرض**) (١).

فلما كان هذا حالنا صدق فينا قول ربنا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة : ٢٤] .

فلكي نخرج من سخطه فلابد أن نولّي وجوهنا شطره ، نرضى بما يُرضيه وإن كان ظاهره خلاف ما يُرضينا، ونبغض ما يبغضه وإن كان ظاهره خلاف ما نبغض.

---

(١) رواه البخاري برقم ٦٠٧١ ، وابن ماجة برقم ٤١٣٥ ، وابن حبان برقم ٤٢١٨ .

وأُسدل الستار

obeikandl.com

obeikandl.com

وأسدل الستار

وأُسدل الستار على قصة هذا الغلام الذي عاش لله ومات في سبيله، بعدما كان يُعَدُّ ليعيش ويموت في سبيل الشيطان، وأصبح أثراً بعد عين، ولكن علا ذكره وبقى أثره بفضل ربه ، وسيظل إن شاء الله أبد الآباد إلى أن يقبض الله إليه البلاد والعباد، وفي الآخرة يُعلى الله له ذكره، ويشكر له صنيعه على رؤوس الأشهاد.

وبعد أن أسدل الستار بقى سؤال مهم ألا وهو:

هل أنت الغلام ؟

فقد تكون أنت، أو أحد ذويه: أبيه، أمه، أخيه، صديقه وصاحبه.

فإن كنت أحد ذويه فقم بدورك معه فإن الإنسان بمن حوله، فإن كنتَ أباه فوجهه الوجهة الصحيحة التي تؤدي به إلى سبيل الرشاد، وإن كنتِ أمه فربِّه على منهاج النبوة عسى أن يكون لبنة في بناء صحيح، وإن كنت أخاه فأعنه، فالأخ إن لم يكن عوناً لأخيه في الوصول إلى الجنة فلا خير فيه، وإن كنت صاحبه، فاعلم أن الصاحب ساحب، فلا تكن عوناً للشيطان عليه، ولكن أعنه على نفسه وهواه وشيطانه، ولا تسحبه إلى طرق الضلال والغواية.

وإن كنت أنت الغلام، فقم من رقدتك، وانفض الغبار عن كاهليك، واجعل وجهتك ربك، فإن الأمر جد خطير.

انتبه، أي أننا كلنا الغلام :

فيا أيها الغلام اسمع وأصغ وانتبه إلى وصية خير البشر إلى خير الغلمان في

زمنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال له: «**يا غُلامُ! إني أُعلِّمُكَ كَلمات: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجدْهُ تُجاهَكَ، إذَا سَألْتَ فاسأل اللَّهَ، وإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّه؛ وَاعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[١].

فاصدع بالحق وافعل ما تؤمر من قِبَلِ ربك ونبيك ، ولا تخشى في الله لومة لائم، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الأمور تجري بمقادير، يجريها الذي قدَّرها، فلن يصل إليك نفعٌ لم يُرِد الله وصوله، ولن يصيبك مكروه لم يكتبه الله عليك، ولا تهرب عند أول مواجهة مع أهل الباطل، وسل نفسك قبل الهرب، أأهرب من شيء قُدِّر أم من شيء لم يُقدَّر ؟ ثم ذكِّر نفسك وقل لها: إن كان قُدِّر فأين المهرب ؟ وإن كان لم يُقدَّر فلم الهرب ؟ فسترد عليك قائلة: إذن أقبِل لأنه لا مفر.

واعلم أن من عاش حياته اعتقاداً فقد عاش، ومن عاشها نصوصاً فقد مات حياً، فشتان بين أن تحفظ نصاً عن ظهر قلب ولا تعمل به، وبين أن تعتقد صحة هذا النص وتجعله منهاج حياة، فجميل أن تموت لأجل دينك، والأجمل منه أن تعيش وتموت لدينك.

ولا تغتر بالقوى المادية فإن مرجعها إلى الله ـ عز وجل ـ وهو الذي أودع في كل مادة صفاتها، وهو القادر على أن يسلبها تلك الصفات في أي لحظة، ويخرق لك العادات إن شاء ، فسبحان من نجى إبراهيم عليه السلام من نار تلظى فكانت عليه برداً وسلاماً، ونجى يونس عليه السلام في بطن حوت، ونجى موسى عليه السلام في تابوت.

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى برقم ٢٦٣٥ وقال حسن صحيح، وزيادة الجامع الصغير برقم ٤٢١٧ ، ورياض الصالحين برقم ٦٢ ، وكنز العمال برقم ٥٦٩١ ، وصححه الألبانى فى سنن الترمذى برقم ٢٥١٦ ، وفى صحيح الجامع الصغير برقم ٧٩٥٧ ،وفى مشكاة المصابيح برقم ٨ / ٥٣٠٢ .

وختامًا:

رسالة لكل داعية ولكل طاغية، قال تعالى: ﷻ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البروج].

فإلى كل داعية: تذكَّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾ واعلم أن الله ـ عز وجل ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ ولك في الغلام أسوة وقدوة حسنة.

إلى كل طاغية تذكَّر قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾واعلم ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ولك في الملك وأعوانه وفرعون وثمود عبرة وعظة.

وإلى كل فرد على هذه البسيطة اعلم أنه قد ورد عن تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ليبلُغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام وذلاً يُذل الله به الكفر**)، وكان تميم الداري يقول قد

عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية [١] .

وله الحمد أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً على ما مَنَّ ويسَّر وهدى ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد خلقه ، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، . . آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبـــه

سعد سعيد أحمد عبده

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

E.Mail: SaadSaeid@yhoo.com

(١) رواه أحمد برقم ١٦٩٩٨ وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ٣ .

obeikandl.com

المراجـــــع

obeikandl.com

obeikandl.com

المراجـــع

[١] اقتضاء العلم العمل ، للإمام/ الخطيب البغدادي ، تحقيق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

[٢] الأذكار، للإمام / يحيى بن شرف النووي ، أشرف على تحقيقه الشيخ / مصطفي العدوى، خرج أحاديثه/ أسامة بن عبد العليم آل عطوة، طبعة دار ابن رجب، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

[٣] التعاريف للشيخ/ محمد عبد الرؤوف المناوى، تحقيق د/ محمد رضوان الداية، طبعة دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

[٤] التعريفات، للشيخ/ عليّ بن محمد الجرجانى، تحقيق/ إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي بيروت .

[٥] التوضيحات الحسان على رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخ/ ياسر برهامى، طبعة دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

[٦] الرحيق المختوم، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفورى، طبعة مكتبة الإيمان، المنصورة مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

[٧] الروح، للإمام / ابن قيم الجوزية، تحقيق / صلاح محمد محمد عويضه، طبعة دار العقيدة، القاهرة، الطبعة الأولى.

obeikandi.com

[٨] الزهد، للإمام/ ابن المبارك .

[٩] الزهد، للإمام/ أحمد بن حنبل، بحواشى/ محمد عبد السلام شاهين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[١٠] السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، للأستاذ الدكتور/ فضل إلهي طبعة دار ابن حزم، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

[١١] السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للإمام/محمد على الشوكاني ، تحقيق/ محمود إبراهيم زايد، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

[١٢] الصمت وآداب اللسان، للإمام ابن أبي الدنيا، تحقيق/ أبو إسحاق الحوينى، طبعة دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

[١٣] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام/ ابن قيم الجوزية، تحقيق د/ عليّ بن محمد الدخيل الله ، طبعة دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

[١٤] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، للإمام/ ابن قيم الجوزية، تحقيق/ محمد جميل غازى، مطبعة المدنى، القاهرة.

[١٥] الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام/ ابن حزم الظاهرى، طبعة مكتبة الخانجى، القاهرة.

[١٦] الفوائد، للإمام / ابن قيم الجوزية، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

[١٧] المستطرف في كل فن مستظرف، للإمام / شهاب الدين الأبشيهى، تحقيق د/ مفيد محمد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

[١٨] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعى، للشيخ/ أحمد بن محمد الفيومى، المكتبة العلمية، بيروت.

[١٩] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر ، طبعة مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[٢٠] المفردات في غريب القرآن، للإمام / الراغب الأصفهانى، طبعة مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

[٢١] الموافقات في أصول الشريعة، للإمام / أبو اسحاق الشاطبى، تخريج/ أحمد السيد سيد أحمد على، شرح وتعليق الشيخ/ عبد الله دراز، طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة.

[٢٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام / ابن الأثير، تحقيق / طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

[٢٣] الوسائل المعينة على حفظ القرآن الكريم، قسم التحقيق بدار الحرمين/ إبراهيم إسماعيل القاضي ، السيد عزت المرسى، إشراف/ محمد عوض المنقوش، طبعة دار الحرمين للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

[٢٤] أصحاب الأخدود، للأستاذ/ رفاعي سرور، طبعة دار الفرقان، الإسكندرية.

[٢٥] أضواء البيان، للعلامة/ محمد الأمين الشنقيطى، ضبط الشيخ/ محمد عبد العزيز الخالدى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ.

[٢٦] إحياء علوم الدين، للإمام / أبو حامد الغزالى، دار المعرفة، بيروت.

[٢٧] إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب، للشيخ / سعيد عبد العظيم، دار الإيمان ، الإسكندرية .

[٢٨] إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام / ابن قيم الجوزية، باعتناء صدقي محمد جميل العطار، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

[٢٩] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام / ابن قيم الجوزية، تحقيق / مجدي فتحي السيد، طبعة دار الحديث، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٣٠] بدائع الفوائد، للإمام / ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق / سيد عمران، عامر صلاح، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

[٣١] تأملات إيمانية في سورة يوسف، للشيخ / ياسر برهامى، دار الإيمان، الإسكندرية.

[٣٢] تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، للدكتور/ سيد ابن حسين العفانى، تقديم الشيخ/ أبو بكر جابر الجزائرى، والشيخ / محمد صفوت نور الدين، طبعة مكتبة معاذ بن جبل، ودار العفانى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

[٣٣] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذى، للشيخ / محمد بن عبد الرحمن المباركفورى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[٣٤] تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء، جمع وترتيب/ أحمد بن سليمان، أم صفية بنت محمد صفوت نور الدين، تقديم الشيخ / محمد صفوت نور الدين، مطبعة دار الإيمان، ودار القمة، الإسكندرية.

[٣٥] تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل (، للإمام/ عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق/ مجدي فتحي السيد، ياسر سليمان أبو شادي، طبعة المكتبة التوفيقية، مصر.

[٣٦] تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن (للإمام/ ابن جرير الطبرى.

[٣٧] تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام القرطبى، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٣٨] تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام/ عبد الله بن أحمد النسفي، ضبطه وخرج أحاديثه وآياته الشيخ/ زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

[٣٩] تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) للشيخ/ محمد بن محمد العمادي أبو السعود، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

[٤٠] تلبيس إبليس، للإمام / ابن الجوزي البغدادي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

[٤١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة / عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تقديم الشيخ / عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، والشيخ / محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[٤٢] جامع العلوم والحكم، للإمام ابن رجب الحنبلى، تحقيق / عبد الله

المنشاوى، طبعة مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٤٣] جامع بيان العلم وفضله، للإمام الحافظ / ابن عبد البر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

[٤٤] حياة الصحابة، للعلامة / محمد يوسف الكندهلوى، تحقيق وتعليق / لجنة من العلماء والباحثين، طبعة المجموعة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة.

[٤٥] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام / أبو نعيم الأصفهانى، طبعة دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ .

[٤٦] رهبان الليل، للدكتور / سيد بن حسين العفانى، بتقديم كل من: الشيخ / أبو بكر جابر الجزائرى، والشيخ / محمد صفوت نور الدين، والشيخ / محمد بن إسماعيل المقدم، والشيخ / أبو إسحاق الحوينى، والشيخ / عائض عبد الله القرنى، والشيخ / محمد القاضى، طبعة مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، مصر، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

[٤٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للشيخ / محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

[٤٨] زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، طبعة دار البيان العربى، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٢م.

[٤٩] زهر البساتين ، للدكتور / سيد بن حسين العفانى، بتقديم طبعة دار العفانى، كل من: الشيخ / أبو بكر جابر الجزائرى، والشيخ / محمد

صفوت نور الدين، والشيخ/ أبو إسحاق الحوينى، والشيخ / محمد القاضى، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

[٥٠] سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبى، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

[٥١] شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ / ابن أبي العز الحنفي، بتحقيق جماعة من العلماء، تخريج / محمد ناصر الدين الألبانى، طبعة المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

[٥٢] صحيح مسلم بشرح النووى، بضبط ورقم/ محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

[٥٣] صور من حياة التابعين، للدكتور / عبد الرحمن رأفت الباشا، طبعة دار الأدب الإسلامى، القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

[٥٤] طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام/ ابن قيم الجوزية، تحقيق / سيد إبراهيم عمران، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

[٥٥] عدة الصابرين، للإمام/ ابن قيم الجوزية، تحقيق / عصام الدين الصبابطى، طبعة دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

[٥٦] علو الهمة، للشيخ / محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، طبعة دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

[٥٧] عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للعلامة/ بدر الدين العينى.

[٥٨] عودة الحجاب، للشيخ / محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، طبعة دار الصفوة، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

[٥٩] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

[٦٠] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بتعليق الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، طبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[٦١] فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه، لأبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان، طبعة مؤسسة الزهراء، كفر الشيخ، مصر.

[٦٢] فيض القدير شرح الجامع الصغير، للشيخ / عبد الرؤوف المناوى، تعليق / ماجد الحموى، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦م.

[٦٣] قاعدة في المحبة، لشخ الإسلام / ابن تيمية، تحقيق د / محمد رشاد سالم، طبعة مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة.

[٦٤] قصة أصحاب الأخدود، للشيخ / ياسر برهامى، طبعة دار العقيدة، الإسكندرية، ١٤١٤هـ

[٦٥] قصة أصحاب الأخدود، للشيخ/ سعيد عبد العظيم، طبعة دار العقيدة والتراث، الإسكندرية، الطبعة الأولى.

[٦٦] قصة أصحاب الأخدود، للشيخ / محمود المصرى، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

[٦٧] لا تحزن، للدكتور / عائض القرنى، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.

[٦٨] لسان العرب،لابن منظور الإفريقى، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

[٦٩] مجلة التوحيد، تصدر عن جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية بمصر، العدد رقم: ٤١٠ السنة الخامسة والثلاثون، شهر صفر ١٤٢٧هـ.

[٧٠] مجمع الأمثال، لأبي الفضل النيسابورى، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة، بيروت.

[٧١] مختار الصحاح، للشيخ / محمد ابن أبي بكر الرازي ، تحقيق / محمود خاطر، طبعة مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة ١٤١٥هـ / ١٩٩٨م.

[٧٢] مختصر تفسير العظيم المسمي عمدة التفاسير، اختصار وتحقيق العلامة / أحمد محمد شاكر، طبعة دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

[٧٣] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق وتعليق / أحمد فخري الرفاعى، عصام الحرستانى، طبعة دار الجيل بيروت.

[٧٤] مفتاح دار السعادة، للإمام / ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

[٧٥] مع المعلمين، للشيخ / محمد بن إبراهيم الحمد، طبعة دار بن خزيمة، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

[٧٦] وقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ / وحيد عبد السلام بالى، بتقريظ الشيخ / أبو بكر جابر الجزائرى، طبعة دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٢هـ.